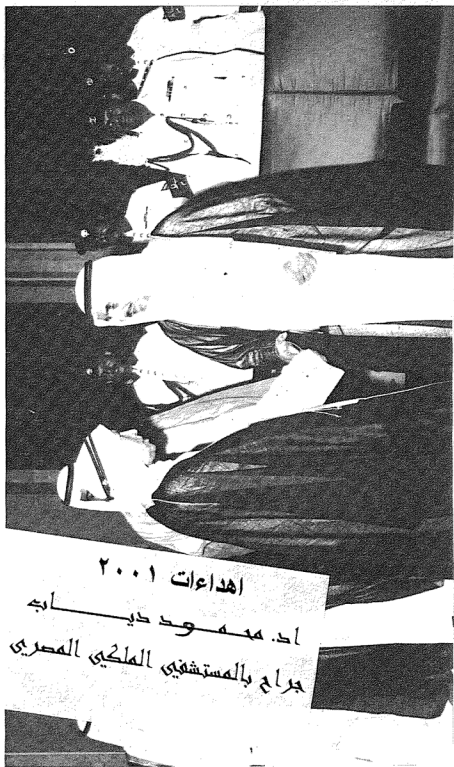


الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

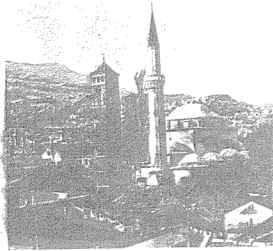
السنة الثامنة - العدد ٩٤ - شوال ١٣٩٢ هـ - ٦ نوفمبر ١٩٧٢ م





استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بقصر السيف العامر
 جموع المهنيين من المواطنين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو في
 الصورة سموه يصافح رئيس مجلس الأمة خالد صالح الفنين .

اهداءات ٢٠٠١
 ا.د. محمود كيا
 جراح بالمستشفى الملكي المصري



مسجد غازي خسرو بك وبجواره
تبدو أسوار بعض القلاع الأثرية
((تراجيفو — يوغسلافيا))

صالح أحمد

التمن

٥. فلسا	الكريت
١ ريال	المسودية
٧٥ فلسا	المسراق
٥. فلسا	الأردن
١٠ قروش	ليبيا
١٢٥ مليما	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
١ روبية	الخليج العربي
٧٥ فلسا	البحرين وعدن
٥. قرشا	لبنان وسوريا
٤. مليما	مصر والسودان

الإشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلها بالائتماني)
أما الأفراد فيشتركون راسا
مع مئتمن التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير إدارة الدعوة والإرشاد
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
ص.ب. ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ — كويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 15

السنة الثامنة
العدد ٩٤

غرة شوال ١٣٩٢ هـ

٦ نوفمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية

الدعوة إلى العمل القيادي العربي المخلص

افتتح سمو نائب الامير المعظم وولى المهدي الشيخ جابر الاحمد الصباح دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة في السابع عشر من شهر رمضان ١٣٩٢ هـ ، وفيما يلي النطق السامي الذي تفضل به سموه .
« بسم الله الرحمن الرحيم »

بعونه تعالى وتأييده نفتتح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعي

• الثالث لمجلسكم الموقر

• حضرات الاخوان :

يعز علينا ونحن نحتفل بافتتاح هذه الدورة الا يكون
حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بيننا ليرأس هذا الحفل
وليباركه بنفسه . اننا نتطلع الى عودة سموه الى ارض الوطن عاجلا
بموفور الصحة والعافية مشمولاً بعناية الله ورعايته ليباشر مهامه
الجسام .

• حضرات الاخوان :

لقد اخترنا الديمقراطية واراضيها فكانت لنا نعم المنهاج
والسبيل ، وما نخشاه اليوم هو ان تتعرض هذه الديمقراطية لخطر
الانتكاسة بسبب من يعمل على استغلالها سواء لمكاسبه الشخصية او
لهدم القيم الروحية والاخلاقية واشاعة الفوضى والتفرقة بيننا . فعلينا
جميعا ان نقضى على كل الاسباب التي تعمل على تشويه هذه
الديمقراطية او استغلالها من اي مصدر كانت .

لقد اثناء الله علينا بثروة يسرت لنا سبل الحياة الحرة الكريمة ،
وجعلنا منها لانفسنا ولغيرنا عوناً وسنداً ، ولكن علينا ان لا ننسى حق



سمو نائب الأمير وولى العهد الشيخ جابر الاحمد الجابر يستمع الى رئيس مجلس
الامة وهو يلقى كلمة ترحيبية بسموه فى حفل افتتاح دور الانمقاد العادى الثالث للفصل
التشريعى الثالث لمجلس الامة .

أجياننا القادمة من هذه الثروة فيجب ألا تستحوذ الانانية على نفوسنا
ونعيب منها بمختلف الوسائل ونترك أجياننا القادمة تعيش فى ظلام
يكتنفها من كل جانب .
حضرات الاخوان :

أن التطور الكبير الذى تمر به بلادنا يدعونا الى المزيد من اليقظة
فى أعمالنا سواء من ناحية الفايات أو الاساليب وان الضمان الحقيقى
لاستمرار هذا التطور هو ترسيخ التعاون والتآخى فلنفكر بروية
وعمق قبل اتخاذ أى قرار أو سن أى تشريع ، وليكن تصورنا الوطنى
ملازما لكافة أعمالنا واضعين مصلحة الوطن فوق كل اعتبار .
حضرات الاخوان :

ان التحديات التى تواجهها امتنا العربية تفرض علينا أن نرتفع
الى مستوى الاحداث وأن نتخذ الوسائل الكفيلة بالرد عليها ، وهذا
يتطلب من القادة العرب عملا مخلصا جماعيا جادا لمجابهة العدو ومن
يسانده حتى تتخذ امتنا العربية مكانها اللائق فى المحيط العالمى .

سدد الله خطانا جميعا والهمنا طريق الصواب ووفقنا لما فيه خير
وطننا وامتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في الخطاب الأميري

● القضية الفلسطينية

● نشر الدعوة الإسلامية

لقى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الخطاب الأميري في حفل افتتاح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعي الثالث لمجلس الأمة . وقد استهل الخطاب بالحديث عن الاحتلال الصهيوني وموقف الكويت من القضية الفلسطينية وتناول سياسة الدولة على الصعيد الداخلي والخارجي . وفيما يلي بعض فقرات منه تتصل بالقضية الفلسطينية ، وجهود وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في نشر الدعوة .

حضرات الاعضاء المحترمين

رغم مرور أكثر من خمس سنوات على عدوان عام ١٩٦٧ ، فإن الاحتلال الصهيوني للأرض العربية لا يزال قائما يتحدى كل ما تملكه الأمة العربية من امكانيات وقدرات لم تستطع أن تأخذ مكانها بعد في معركة التحرير ولا يزال العدو الصهيوني مستمرا في تنفيذ مخططاته الاستيطانية التوسعية في المناطق المحتلة بكل الوسائل مستهدفا وضع العالم كله أمام امر واقع يفرضه بالقوة ومرور الزمن ، وهو يواصل بين الفينة والأخرى اعتداءاته على البلدان العربية متماديا في غيه واستهتاره بكل القيم والمبادئ الدولية ، يشجعه على ذلك مايناله من مساندة ودعم بغير حدود من الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ، وما يراه من تفكك الجبهة من حوله وما يستتبعه ذلك من انعدام الخطة وفقدان التنسيق بين اطراف هذه الجبهة . ولقد نبهت الكويت باستمرار الى خطورة هذه الأوضاع والى ضرورة العمل على حشد الطاقات العربية ضمن خطة موحدة ، محددة الوسائل والالتزامات ، تستهدف تحرير الأرض المحتلة واستعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني . وابتد دائما استعدادها الكامل للاسهام بكل ما يترتب عليها من متطلبات في هذا الصدد . واذ ترحب الكويت باجتماع لجنة وزراء الخارجية والدفاع المزمع عقده في الكويت في الشهر القادم فانها ترجو أن تكون نتائج هذا الاجتماع خطوة على الطريق الصحيح .

ولقد أكدت الكويت موقفها الواضح من قضية فلسطين في كافة اتصالاتها الدولية وحذرت من الآثار الخطيرة التي ستترتب على التجاهل المستمر للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .



رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح يلقى الخطاب الاميرى فى حفل افتتاح دور الانتماء المادى الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة .

وقد اوضحت الكويت فى مناسبات عدة أن القضاء على ما يسمى بالارهاب لا يمكن أن يتم بالتصدي لمظاهره السطحية ، وانما بالمعالجة الحادة للمشكلات الاساسية التى ادت اليه والعمل على التوصل الى حل جذرى .

ثم تحدث الخطاب عن نشر الدعوة الاسلامية فقال :

ويتصل بالاعلام ما توليه الحكومة من اهتمام بالغ على نشر الدعوة الاسلامية الكريمة فى مختلف الانحاء والارزاء ، وتبصير المسلمين بشؤون دينهم الحنيف ومبادئ شريعتهم الفراء . وفى سبيل تحقيق هذا الفرض السامى حرصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على التعاون مع الجهات القائمة بنشر الدعوة بين شعوب قارتي آسيا واقريقيا والبلاد الأخرى كما عملت على توثيق الروابط وتقوية الصلات مع المنظمات والمؤسسات والجاليات الاسلامية فى شتى انحاء العالم ، فقدمت لها المعونات المالية وأمدتها بما يزيد عن مائتى ألف نسخة من القرآن الكريم وكتب التفسير والاحاديث والفقه وغيرها بلغات متعددة . والأقبال مستمر على دار القرآن الكريم ، كما يقوم صندوق المعونة الطبية بواجبه الانسانى وقد وضعت الوزارة فى تقديرها أهمية الأعمال المنوط أمر القيام بها الى الأئمة والوعاظ فحرصت على حسن اختيارهم وزودت المساجد بمكتبات فرعية . وعملا على راحة المصلين تم تكييف اثنتين وخمسين مسجدا كما تم انشاء سبعة عشر مسجدا فى مناطق مختلفة بالإضافة الى ثلاثة عشر مسجدا على وشك الانجاز فى غضون هذا العام .

المسلمون في العالم

رأس معالي الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون
الاسلامية وفد الكويت في مؤتمر علماء المسلمين السابع الذي عقده مجمع
البحوث الاسلامية في القاهرة وقد ألقى معاليه في المؤتمر الكلمة التالية :

ذلك الحدث الجلل فبكت العيون
وحزنت الانفس ، واستولت الحيرة
والدهشة ملايين البشر من بنى
الانسان .. ولكن ليس عند هذا الحد
يكتفى الاسلام من اتباعه ، بل رسم
لهم طريقا تسلك وعملا يقدم ، والا لما
انتصرت جيوش المسلمين مع قلعة
عددها وكثرة عدوها على اكبر دولتين
في العالم هما : دولة الفرس والروم
اللذان كانتا تتقاسمان العالم ..
(غلبت الروم . في ادنى الارض . وهم
من بعد غلبهم سيفليون . في بضع
سنين لله الامر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله
ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) .
وهزم جيش صلاح الدين جحافل
الصليبيين في فلسطين وغيرها من
بلاد المسلمين .

أيها السادة :

لسنا في مجال التحدث عن الماضي

يقول الله تعالى (انما المؤمنون
اخوة) ، (وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ..
ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم
« مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم
وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا
اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد
بالحمى والسهر » .. ولا أحكم
ولا أبلغ من هذا التعبير في مجال
الاتحاد والمؤازرة والتناصر ، ولم يكن
المسلمون في أى وقت بحاجة الى
النصرة والتعاون والاءاء مثل وقتنا
الحاضر ، وظروفنا الصعبة التي تهر
بها أمتنا .. ولا شئد الصرب
والمسلمون يوما مذلة ومهانة مثل
ضباع بيت المقدس وحرقت المسجد
الاقصى على أيدي اليهود
والصهيونيين .

ولعل هذا الالم العميق والجرح
الذى لم يندمل بعد ، قد اثر في قلب
كل مسلم وحرك ضمير كل حسى ..
ونحن لا نشك بأن كل مؤمن قد ألمه



شتى الوسائل وانواع المغريات ..
وهدفها هو السيطرة العالمية لـبـدا
الشيوعية وهدفها الاول : هو العالم
الاسلامى .

● أما الصهيونية العالمية فانها
نشأت من بضعة من الاقتصاديين
اليهود فى أوروبا وأمريكا استطاعوا
استقطاب عدد من شذاذ اليهود
وتنظيمهم وتجميعهم وعقد مؤتمراتهم فى
مدينة بال بسويسرا .. وخرج
بقرارات تنص على :

(١) استعمار فلسطين بالعمال
الزراعيين والصناعيين اليهود .

(٢) تنظيم الصهيونية العالمية وربطها
بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع
القوانين فى كل دولة .

(٣) تقوية الشعور والوعى اليهودى
وتفذيته .

وبعد هذا المؤتمر أصبح للصهيونية
منظمتها الفعالة .. وقال (هيرتزل)
أحد زعماء اليهود : « على المرء أن
يستخدم جميع الوسائل لتحقيق
الغاية » .

وفى عام ١٩١٧ دخلت بريطانيا
فلسطين لتساعد العرب على التخلص
من الحكم العثماني التركي وكان فيها
سبعمائة ألف عبرى يملكون

ولكن واقفنا اليوم يتطلب منا الانفسى
بأن لدينا قوة كبيرة وسلاحاً مؤثراً قويا
لم يستعمل بعد فى معركتنا مع
الاعداء ، هذا السلاح هو تلك الاعداد
الهائلة من ملايين المسلمين فى العالم
الذين يقطنون جميع القارات الخمس ،
وفى أرضهم تقع ثروات العالم ، وفى
أيديهم يمكن التحكم بمصير الأمم ،
ولكن هذه القوة الكبيرة قد سادها
التفرق والتفكك وغلب عليها الضعف
وخيل الى أهلها بل صور لهم الاعداء
أنها أمة يجب أن تكون تابعة لغيرها
مغلوبة على أمرها .

● وبالنظر الى الملل والمذاهب
الأخرى .. نجد أن الشيوعية التى
لا تعترف بالاديان ولا مبدأ الايمان ،
قد جمعت حولها الناس ، وقامت
بثورة بلشفية اجتماعية وصناعية
واسست دولة ضمت العديد من
الشعوب والقوميات ومختلف اللسن،
وبأسلوبها ونظامها — بما فيه من
صالح أو طالح — صارت تستقطب
الكثير من البشر وتستهوئ نفرا
من شعبنا (١) ...

ولم تفتر الشيوعية عن الدعوة
والاعلان لانكارها ومبادئها سواء بعدد
المؤتمرات أو الاتصالات مستعملة

تعمل المصانع الغربية ، وبأموالنا تشتري وتسوق منتجات الغرب ، ومع ذلك فإن هذه الدول تساعد أعدائنا لتقينا ضعفاء أذلاء حتى يتم لها الاستثمار في سياستها في التسلط على خيراتنا واعاقة وحدتنا ونهضتنا .. واقامة الدولة الاسلامية الكبرى .

ايها السادة :

هكذا يفكر أعداء العروبة والاسلام سواء من كان منهم في الشرق أو الغرب وهكذا يريدون ، فالكل منهم يتظاهر بالسماحة والصداقة والسلام .

وأما التبشير ودعاه من قبل هذا المعسكر ضد الاسلام والمسلمين فافعله واضحة في جنوب السودان وناجريا مع انفصال بيافرا - آندونيسيا والفلبين وروديسيا وجنوب افريقيا والحبشة واريتريا وزنجبار وغيرها .

ايها السادة :

واذا ما جئنا ندرس حالة المسلمين فانهم يعيشون في القارات الخمس ، وفي جميع أقطار العالم ، وقد سئلت مرة عن عدد المسلمين في العالم فاجبت بانى لا أستطيع أن أعطي رقما معينا للنفوس ، ولكن أستطيع القول بانهم يشكلون ثلث دول العالم ، وهذا ما تؤيده الأرقام داخل منظمة الأمم المتحدة (٣) . أما اذا ذهبنا نعد الدول التي ما زالت تحت نير الاستعمار ككشمير وفلسطين واريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التي يسكنها أغلبية مسلمة أما الدول التي يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠٪ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهي خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتي الذي يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليوناً والهند (٧٠)

١٧٥٪ من مجموع الأرض ، وخمسون ألف يهودي فقط لا يملكون أكثر من ٢٥٪ من الأرض . وفي هذا الوقت صدر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود بإعطائهم فلسطين ووطنا لهم - وبريطانيا كانت تدبر فلسطين لتساعده على التطور والاستقلال ، وانهالت المساعدات من دول الكفر والاستعمار على اليهود ضد المسلمين ، لم تترك بريطانيا فلسطين إلا بعد أن سلطت جميع مقدرات البلاد الى اليهود ، واعترفت بهم الأمم المتحدة على أساس تقسيم البلاد ورفض العرب ، فكانت فرصة لهم للتوسع ثم كان عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ وعدوانهم ١٩٦٧ .

● والصهيونية اليوم بأساليبها ودعايتها وتنظيمها تؤثر على دول كبرى مثل أمريكا وبريطانيا وألمانيا ، وغيرها ، وتعمل منظمات الباطنية والماسونية لمصلحة اليهود .

ودخل اليهود في الشيوعية والمسيحية والبوذية وسخروا أغراضها لصالحهم .. واليهود ليس هدفهم فلسطين فقط بل هم يسعون الى افريقيا وما هم قد تغفلوا فيها ، وسخروا بعض زعمائها لآرائهم .

ما المعسكر الرأسمالي - وأبرزه أمريكا وبريطانيا وفرنسا - بعد أن استعمر المناطق الاسلامية والعربية ، وامتنع خيراتها وخرج منها بعد أن واجه المقاومة خلف فيها مشكلات وقضايا (٢) معقدة ليسهل بها المجتمع الاسلامي عن التحرك والنهضة ، بينها سار هذا المعسكر نحو العلم والتصنيع وبناء المجتمع لينعم بالهدوء والاستقرار ، فقام بين أوروبا وأمريكا تحالف عسري وسياسي ، وفي أوروبا قامت السوق المشتركة وفي جنوب أمريكا منظمة أمريكا اللاتينية . وبفضل خيرات الأرض العربية والاسلامية في آسيا وافريقيا ،

فى الدنيا وثوابا فى الآخرة .

أيها السادة :

ان هذه القوة الكبيرة من المسلمين التى تملك هذه المقدرات لا يمكن أن تشق طريقها وتنهض بين هذه القوى المادية إلا بالتنظيم والتخطيط والصدق فى العمل .

وانى أتقدم الى المؤتمر الموقر

بالاقتراحات التالية :

(١) وضع دراسة شاملة للهيئات والمؤتمرات والمراكز التى تعنى بالشئون الإسلامية .

(٢) العمل على انشاء مؤتمر دائم يمثل جميع المسلمين فى العالم وتكون له لجنة تنفيذية ومجلس أعلى ولجان دائمة تعمل على مدار السنة .

(٣) العمل على التنسيق بين الهيئات الرسمية والشعبية التى تعمل لعقد المؤتمرات مثل مجمع البحوث الإسلامية . المؤتمر الإسلامى بجدة . الجامعة العربية . المراكز الإسلامية المجلس الأعلى . الرابطة الإسلامية بمكة .

والملاحظ أن هناك جهودا تبذل من أجل ...

أ - التنسيق بين المدارس والمراكز الإسلامية المنتشرة فى العالم .

ب - التنسيق فى تلقى الطلاب وتوزيعهم .

ج - التنسيق فى ارسال الدعاة للخارج ودعمهم .

(٤) تنظيم كيفية جمع الاموال ومساعدة المراكز الإسلامية .

(٥) دعم المسلمين والاقليات ثقافيا وسياسيا .

سبعين مليوناً وفى كل من : يوغسلافيا ٣ ملايين ، وتايلند ٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين . ومع هذا العدد الضخم للدول الإسلامية فى الأمم المتحدة وخارجها فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة ، فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيها قرار لصالح المسلمين وكان هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب (٤) . . يحرق المسجد الأقصى ، وتشن الحرب على باكستان ، ويذبح المسلمون فى الفلبين وأنجولا وأريتريا .

العقيدة الإسلامية

ان العقيدة الإسلامية لدى المسلمين قوة روحية دافعة مكملة للقوة المادية « المؤمن القوى خير واحب من المؤمن الضعيف » .

(لأن يحتطب أحكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

وعقيدتنا الإسلامية تجعل الانسان المؤمن يجب أن يسير أعماله حسب أوامر الله ونواهيه ، وأن يجعل الاسلام مقياس حياته .

وفى مقام عمل الخير والمساعدة فان الاسلام يضاعف الأجر والثواب (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبل مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وفى الجهاد فى سبيل الله والقتال دفاعا عن الأوطان يَفُوز المسلم بالحسنين إما الشهادة أو النصر ثوابا

زنجبار ، أوغندا ، أريتريا والحبشة ، الجزائر وتونس والمغرب والصحراء .

(٢) الأمم المتحدة ١٢٢ - الدول الإسلامية نحو (٤٠) .

(٤) المعسكر الغربى يتحرك ويثور عندما يسمع بمقتل جندى اسرائيلى أو اختطاف طائرة ولكن لا يتائر لاحتلال بلاد وإخراج أهلها منها وتشردهم بلا ذنب جنوه .

(١) فسيطرت على دول شرق أوروبا ، ودول من آسيا ، وطوعوا الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى والإسلامى تعمل لصالحهم ولو كان ذلك ضد مصالح شعوبهم .

(٢) قضية فلسطين ، الطائفية فى لبنان ، الإكراه فى العراق ، روديسيا جنوب افريقيا ، الصومال الفرنسى ، إيران فى اندونيسيا ، كشمير ، اتحاد الإمارات ، قضية منسقط وظفار



الهدي النبوي في العبادة

للككتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى بسنده المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : حدثنا ابو نعيم قال : حدثنا مسعر عن زياد قال : سمعت المغيرة رضى الله عنه يقول : ان كان النبی صلى الله عليه وسلم ليقوم او ليصلى حتى ترم قدماه او ساقاه ، فيقال له ، فيقول : افلا اكون عبداً شكوراً ؟.

١ — نعم الله تعالى التي تفصل بها على عباده اجل من ان ينالها عد ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ومن اجل تلك العطايا والمنن ، اصطفا الله تبارك وتعالى لواحد من عباده ليحمل رسالته الى خلقه مبلغا وهاديا ، بشيرا ونذيرا ، وفى مقدمة من عرفت الدنيا من الرسل عليهم الصلاة والسلام سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صنعه على عبته ، وشمله بعنابته فى كل مراحل حياته ، وآتاه من كل فضيلة وكمال ما لم يؤت احدا من العالمين ، انقذ به أمة أمية من الضياع ، وصيرها بهدايته مثلا نادرا فى السموات والتجافى عن ما يشين الانسان كائنسان ، فأخرج منها القائد المعبرى ، والعالم اللودعى ، والسياسى مكرمة فى كل ميدان ، وأخذ حبلها على المضى قدما فى السبق الى كل المدره ، والمفتن فى كل ما يخدم هذا الوجود ، ويرقى به ، ويسعده ، وينمى الخير فى أوديته ، وفاتح العقول الجبارة القادرة على الدرس والتنقيب على مخبات هذا الكون وخفياه ، وواضعى أصول العلوم فى كل فن ، فيا لها من فعال لا ضريب لها ولا مقارب ، منذ أن شب الانسان عن الطوق ، وأخذ طريقه دارجا على البسيطة ، عابرا فى دروبها ، باحثا عن أسرارها ، فما يهول الباحث ما يراه فى كل معقل فى عصرنا من آثار اتباع سيدنا رسول الله السائرين على نهجه ، المقتدين به ، الذين اتخذوه أسوة حسنة ، فتنافوا ليخلدوا ، وشبهخوا على الزمان ليطاطىء لهم هامه ويسجل باعجاب آثارهم ، فقد كانوا حلقة ذهبية وصلت الماضى بزمان وجودهم ، وتركته يشع لمن بعدهم ، ولو ان أبناءهم تقمصوا همهم لما غلب أمتهم غالب ، ولا قهرها متسلط ، ولكن السبق كل السبق لهم ولهم وحدهم ، وكانى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يفرق فى العبادة ، وحين يداوم بشدة على الصلاة ، وحين يديم التهجد وقيام الليل ، وحين يتجافى جنبه عن مضجعه ، وعندما يتقف بين يدي بارئه حتى تتورم قدماه ، انها يضرب الامثال لقومه على نوع من الزلفى الى الله يفتح مقلقات الوجود ، ويسمو بالفكر ، ويربط هذا الانسان بخالقه ، يخلصه من علائق المادة المميته القاتلة ليصله بوثاق الروح

بقيوم السموات والارض ، الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ، ويفيض من مكنون عليه على من يشاء من عباده ، سبحانه لا اله الا هو رب العرش العظيم ، من طرق بابہ ادخله رحابه ، ومن ولج الى ملكوته استطلع ما لم يحط غيره بعلمه ، ومن ارتفع عن ماديته غمره نور المعرفة التى لا حدود لها ، ومن اعرف بالله وما عنده من رسوله المصطفى ، وحبيبه الجتبى ، ومن أولى بشكره وادامة عبادته من سيد انبيائه ، وواسطة عقد رسله ، ولهذا لما قيل له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ؟ فنجيب عليه وعلى آله افضل صلاة وازكى سلام : (افلا اكون عبدا شكورا) .

٢ - امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوم الليل الا قليلا ، كما ورد فى أول سورة الزمل ، وذلك لان قيام الليل اشد مواطاة وموافقة بين القلب واللسان ، واجمع للخاطر فى قراءة القرآن وتفهمه ، وهذا لا يتيسر بالنهار وقت السعى على المعاش ، وانتشار الصخب واللجب فيه . « ان ناشئة الليل هي اشد وطأ وأقوم قیلا » . . . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمل من العبادة وان أضر ذلك ببدنه ، قالت عائشة رضى الله عنها : « كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تنقطر قدماه » ومع هذا فقد كان يشفق على أصحابه ان يملوا ، ويحاول ان يحملهم على الأخذ من العبادة بما يستطيعون ، وان يداوموا على فعل القليل ، ويبين لهم ان القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، فقد حدث البخارى عن أشعث قال : « سمعت أبى ، قال : سمعت مسروقا قال : سألت عائشة رضى الله عنها : اى العمل كان احب الى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالت الدائم ، قلت : متى كان يقوم ؟ قالت : يقوم اذا سمع الصارخ » ، ووقع فى مسند الطيالسى فى هذا الحديث : « الصارخ : الديك » والصرخة ، الصيحة الشديدة ، وجرت العادة ان يصيح الديك عند منتصف الليل غالبا ، وهو غير الذى يصيح عند اقتراب الفجر ، وروى البخارى ايضا ان عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها أخبر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « احب الصلاة الى الله صلاة داود عليه السلام ، وأحب الصيام الى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما » ، قال واحد من شراح الحديث الأسبقين رضى الله عنهم : « . . . وإنما كان ذلك أرفق لأن النوم بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر الى الصباح ، وفيه من المصلحة أيضا استقبال صلاة الصبح بنشاط ، وأنه اقرب الى عدم الرياء لأن من نام سدس الليل الاخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى ، فهو اقرب الى ان يخفى عمله الماضى على من يراه » وحكى عن قوم آخرين : (ان معنى قوله : « احب الصلاة » هو بالنسبة الى من حاله مثل حال المخاطب بذلك ، وهو من يشق عليه قيام أكثر الليل ، وعمدة هذا القائل اقتضاء القاعدة زيادة الاجر بسبب زيادة العمل ، والافضل ان نجري على ما دل عليه اللفظ والله أعلم) .

٣ - وهنا يورد صاحبى سؤالا لا يصح بحال أن يورد غسى جانب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وان جاز ايراده فى حق العباد غير الرسل ، والسؤال هل يدخل الرياء فعل الرسل ؟ والجواب : ان هذا محال لان رسل الله هم المعلومون والوجهون والمشرعون ، وكل أعمالهم قلت او جلت يجب علينا متابعتها ومحاسنتها ، فلا يمكن بحال أن يقال ان فى أعمالهم عليهم الصلاة والسلام اى نوع من الرياء ، والرياء آفة اجتماعية ممتوتة نهى عنها

سيدنا رسول الله وذمها القرآن ، ولكي يبين القول غيها نورد معناها اللغوى ، فقد جاء فى لسان العرب لابن منظور المصرى ما نصه : « ورأيت الرجل مراة رياء : أريته أنى خلاف ما أنا عليه . وفى التنزيل (بطرا ورثاء الناس) وفيه : (الذين هم يراعون) يعنى المنافقين ، أى اذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراعونهم أنهم على ما هم عليه ، وفلان مرء ، وقوم مراعون ، والاسم الرياء . يقال فعل ذلك رياء وسمة ، وتقول من الرياء يستراى فلان ، كما تقول يستحق ويستعمل عن أبى عمرو . الخ » (١) .

والرياء بكل هذه المعانى محال أن يدخل أعمال الرسل والأنبياء . وهو معتبر شرعا من الآفات المقتونة حتى فى العبادات ، سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله غيم النجاة ؟ فقال : ألا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس . وفى الحديث الذى رواه مسلم قال أبو هريرة راويا عن رسول الله فى المقتول فى سبيل الله ، والمتصدق بماله ، والقارئ بكتاب الله أن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم : كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ، كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء . فأفاد هذا القول الشريف أنهم لم يثابوا ، وأن رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من رأى رأى والبيهقى رأى الله به ، ومن سمع سمع الله به » . حديث متفق عليه ، وأخرج أحمد والبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصفر ، قالوا : وما الشرك الأصفر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراعون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء ؟ »

وقال سيدنا على كرم الله وجهه : « للمرائى ثلاث علامات ، يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان فى الناس ، ويزيد فى العمل اذا اثنى عليه » .

فالرياء ممقوت يذهب بفائدة العمل بل ويبطله ، وهو مسلك من مسالك النفاق الذى عابه القرآن الكريم ، وذم المتصفين به ، وأعد لهم أشد العذاب يوم القيامة ، قال تعالى : « أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراعون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذنبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له نصيرا » الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ من سورة النساء ، ثم يقول تبارك وتعالى فى الآية ١٤٥ من نفس السورة : « أن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) وفى قوله تعالى : (يراعون الناس) قال المفسرون : يراعون بفعالهم أى يبتغون بذلك أن يراهم المؤمنون فيعدهم منهم (ولا يذكرون الله الا قليلا) أى لا يصلون الا قليلا ، فإذا لم يراهم أحد لم يصلوا ، وإذا كانوا مع الناس راعوهم وصلوا معهم ، وهم مضطربون مائلون تارة الى المؤمنين ، وتارة الى الكافرين ، لا يخلصون لأحد الفريقين لأنهم طلاب منافع ، ولا يدرون لمن تكون الغلبة والعاقبة ، فمتى ظهرت الغلبة لأحدهما ادعوا أنهم معه .. فالواجب اخلاص العمل لله واخفاؤه متى أمكن ذلك ، فقد روى الطبرانى والحاكم بإسناد صحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل رضى الله عنه يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم يقول : « ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غيراء مظلمة » وان يطلب به (اى بالعمل) رضوان الله وخير ما عنده لا الغلبة والتسلط على الناس وقهرهم ، قال تعالى : « تلك السدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » ، وجاء فى الصحاح ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » وخوف الله وترك مراعاة الناس يجتث الكبر من النفوس ، ويجعل العمل مؤثرا ثماره كاملة حين يستهين الانسان بما عمل ، ويعدده هينا فى جنب نعم الله تبارك وتعالى ، مبتعدا عن التكبر والتعالى على عباد الله ، وبذلك يقترب من رضوان مولاه ، ويبتعد عن ما يغضبه ويسخطه ، والله سبحانه لا يحب كل متكبر جبار .

روى مسلم وابو داود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

والخلاصة من كل ما سبق :

١ - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصا على العبادة فى جميع أشكالها قياما بواجب شكر الله (أفلا أكون عبدا شكورا) .

٢ - أن أعمال الرسل والأنبياء الظاهرة والباطنة لا يمكن أن يداخلها الرياء ولا النفاق ، وانما هى خطوط واضحة يجب ترسيمها فى كل مسالك الحياة ، اذ هم صفوة الخلق والمبلغون لما أوحى اليهم من قيوم السموات والأرض .

٣ - أن الرياء نوع من النفاق المهلك وقد أعد الله للمنافقين عذابا الينا .

٤ - يجب اخلاص العمل من العباد لله تعالى وحده ، والابتعاد به عن التسلط على خلق الله ، والتجافى عن الغرور والكبرياء حتى يكون عملا مقبولا ، له ثوابه العظيم بالدار الآخرة ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان .

٥ - أن كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو غير مقبول عند الله وان بدا كذلك فى الدنيا ، ودليل ذلك قصة الثلاثة الذين وردت فعالمهم فى حديث رسول الله الذى أوردناه فى صلب الشرح (المجاهد المرائى ، والباذل المرائى ، وقارىء القرآن المرائى) فكل أولئك حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزن .

نسأل الله جلّت قدرته وتباركت أسماؤه أن يجعل أعمالنا دائمة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يحضها لما يرضيه ، وما يبلغنا خير الدار الآخرة ، انه سبحانه نعم المستعان .

إعجاز القرآن الكريم

الدكتور محمد حسين الذهبي

معنى الإعجاز — القرآن معجزة النبي الكبرى — القرآن بين تكذيب العرب له وتحديدهم به — جوانب الإعجاز في القرآن الكريم •

يتميز عن سائر معجزات الانبياء
بأمور :

معنى الإعجاز :

(١) انه يحتوى على أصول الدعوة المحمدية ، وما يكتنفها من هداية وارشاد ، وذلك أبلغ في الدلالة على النبوة ، لان ما احتواه من ذلك لا يمكن أن يكتسب بالتعلم ، وانما هو بوحى من الله ، ومن هنا كُن القرآن كافيا ، ومغنيا عن كل ما طلبه المعتنون من معجزات تحديا له عليه الصلاة والسلام ، وفي ذلك يقول الله تعالى: « أولم يكفهم أنا نزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » .

(٢) أن القراء معجزة العقل : لانه

تطلق كلمة الإعجاز في اللغة ، ويراد بها اثبات المعجز وإظهاره . وإعجاز القرآن الكريم معناه : اثبات عجز العرب وغيرهم عن الاتيان بمثله ، فيظهر بذلك صدق النبي عليه الصلاة والسلام في دعواه الرسالة ، وأن القرآن ليس من كلامه ، ولا هو في مقدور أحد ، وانما هو كلام الله عز وجل .

القرآن معجزة النبي الكبرى :

والقرآن معجزة النبي الكبرى وهو

عليهم بما ذكرنا وأكثر مما يبطل زعمهم ، ولكنهم تمادوا في غيهم واستمروا في تكذيبهم وعنادهم فلم يكن بعد ذلك الا ان يلقيهم حجرا يسد أفواههم حتى لا ينسوا بغربة ، ويدمغ عنادهم حتى لا يقوى على أن يتصدى للحق أو يعترض طريقه .

لم يبق الا أن يتحداهم الله ويتحدى الانس والجن جميعا أن يأتوا بمثل القرآن ما دام القرآن في زعمهم من صنع البشر — محمد أو غيره — وليس من عند الله عز وجل . ولقد جرى ذلك التحدى على تدرج ملحوظ :

تحداهم أولا أن يأتوا بمثل القرآن فقال :

« قل لمن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » (٨) . فما كان منهم الا العجز التام .

ثم تنزل معهم في التحدى ، فقال أمرا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد رموه بالافتراء على الله في نسبة القرآن اليه : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (٩) فعجزوا كل العجز عن ذلك أيضا .

ثم نزل الى أدنى من ذلك فقال : « قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (١٠) . وقال : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فأتوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (١١) فما استطاعوا معارضة ذلك القدر القليل .

ثم نزل الى أدنى درجات التحدى فقال : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

يخاطب العقل دائما ولا يجهد عند الحس كمعجزات الانبياء السابقين ، ولقد نوه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بذلك في حديث له فقال : « ما من نبي من الانبياء الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » . (٣) أن القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على مدى الدهر ، ضرورة انه معجزة الدين الخالد ، فهو شاهد أبدا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ، أما معجزات الانبياء السابقين فقد كانت تنتهي بانتفاء وقت وقوعها ثم لا يبقى لها أثر بعد ذلك الا في نفس من شهدها .

القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به :

ولقد أيد الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن من أول يوم بعثه رسولا للعالمين ، ولكن قومه كذبوه وزعموا أن ما يتلوه عليهم من القرآن ليس من عند الله ، وقالوا عنه :

« أساطير الأولين اكتتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا » (١) فأوحى الله الى نبيه بقوله : « أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض » (٢) وقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (٣) .

وقالوا : « انما يعلمه بشر » (٤) فرد الله عليهم بقوله : « ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين » (٥) .

وقالوا : « شاعر نتربص به ريب المنون » (٦) فرد عليهم بقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (٧) . قالوا عنه هذا وأكثر ، ورد الله

صادقين » (١٢) فمعجزوا عن أن يأتوا بحديث مماثل له . . . أى حديث كان ، طال أم قصر ، ولزمهم المعجز عن معارضته هم ومن وراءهم الى يوم القيامة .

ولم يكن عجزهم هذا ناشئا عن كون القرآن غريبا عليهم فى لغته ، بل كان من جنس كلامهم وبلغتهم التى يتكلمون بها ، ولم يكن عدم معارضتهم له ناتجا عن عدم اهتمامهم بالمعارضة أو عدم اكتراثهم بالتحدى ، فقد اثار القرآن اهتمامهم بالمعارضة ، وبعث فيهم الرغبة الملحة فى قبول التحدى ، والعمل على حطه ، والخروج من المأزق الذى وضعهم فيه ، بما كان منه من تسفيه أحلامهم بنحو قوله عنهم : « إن هم الا كالأنعام بل هم أضل » (١٣) وتحقير آلهتهم بنحو قوله : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (١٤) ومع ذلك الاستغفار فقد وقفوا عاجزين أمام هذا التحدى ، ولم نجد لهم معارضة يمكن أن تجارى أو تدانى القرآن فى أسلوبه ونظمه ، أو فى أى جانب من جوانب اعجازه التى سنذكرها ، وما ترويه لنا بعض كتب الادب أو غيرها من محاولات لمعارضة القرآن لم تخرج — فى الواقع — عن كونها محاولات سخيفة ، وليس فيها من براعة النظم ، ولا من دقة المعنى شيء مطلقا ، وانما هى هذيان كهذيان المحموم ، عار من كل شيء الا من ركافة النظم وفساد المعنى .

جوانب الإعجاز فى القرآن الكريم :

وجوانب الإعجاز فى القرآن الكريم متعددة وهى :

- (١) فصاحة كلماته .
- (٢) براعة نظمه وجزالة أسلوبه .

(٣) بلاغته فى الدلالة على معانيه . وهذه الثلاثة يمكن أن نجعلها تحت عنوان واحد هو (الإعجاز البيانى) . ولا شك أن القرآن الكريم قد تميز عن كل ما عساه من كلام الهى وغير الهى بأسلوب غريد ، بلغ الغاية فى جزالته وبلاغته ، ولو جئنا بأبلغ عبارة نطق بها العرب ووضعناها بجانب عبارة فى موضوعها جاء بها القرآن الكريم ، لوجدنا بين العبارتين فرقا بلاغيا كبيرا ، فأبلغ عباراتهم فى القصص « القتل انفى للقتل » وعبارة القرآن الكريم فى هذا الباب « ولكم فى القصص حياة يا أولى الابواب » وقد تناول علماء البلاغة كلتا العبارتين بالتحليل البلاغى وبيّنوا — بما لا يقبل الشك — أن عبارة القرآن فوق العبارة المأثورة عن العرب بمراتب كثيرة .

وبلغاء العرب — بسليقتهم — يدركون هذا التفوق البيانى للقرآن الكريم حتى أن أحدهم — وهو الوليد ابن المغيرة — يسمع القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ، فيبهه أسلوبه وبلاغته ، ويعجب به أيما إعجاب ويشيع ذلك عنه ، فيأتى اليه أبو جهل ويطلب منه أن يقول فى القرآن قولا يبلغ قومه انه منكر له ، فيجيب الوليد بقولته المشهورة : « وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أحد أعلم بالشعر : لابرجه ولا بقصيده منى ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلالة ، وإن أعلاه لمثر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته » . ولا نطيل بالكلام عن بلاغة القرآن فذلك موضوع واسع تسوله بالبحث والبيان كثير من العلماء ، ولهم فى ذلك مؤلفات كثيرة ومشهورة .

(٤) اشتماله على حوادث وقعت فى الأزمان الغابرة ولم يكن للنبي

كونية ، وانها نكتفى بثلاثة امثلة
نذكرها كشواهد على الاعجاز العلمى
للقرآن الكريم :

المثال الاول :

قوله تعالى فى الآية (٣٠)
من سورة الانبياء : « اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما » فقد فسرهما عبد
الله بن عباس على ضوء ما وصل
اليه العلم فى زمانه تفسيراً تحتمله
الآية فقال :

« كانت السماء رتقاء لا تمطر ،
والارض رتقاء لا تنبت ، ففتق هذه
بالنبات ، وتلك بالمطر » .

وفسرهما علماء العصر الحديث على
ضوء ما توصلوا اليه من العلم فقالوا :
« قرر الكتاب الكريم ان الارض
كانت جزءا من الشمس ، وأن حادثا
كونيا جذب قطعة من الشمس
وفصلها عنها ، وأن هذه القطعة
— بعد ان مرت عليها أطوار —
تكسرت وصارت قطعاً ، كل قطعة
منها صارت سياراً من السيارات ،
وهذه السيارات طافت حول الشمس
وبقيت فى قبضة جاذبتها ، والارض
واحدة من هذه السيارات فهى بنت
الشمس ، والشمس هى المركز لكل
هذه السيارات » (١٥) .

ولا نكاد نجد تعارفاً بين الفهمين ،
والآية تحتملها وتتسع لهما وذلك
— بلا شك — وجه من وجوه الاعجاز
للقرآن الكريم .

المثال الثانى :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و (٤) من
سورة يونس « هو الذى جعل الشمس
ضياء والقمر نورا » وقوله فى الآية (٦١)
من سورة الفرقان « تبارك الذى جعل
فى السماء بروجاً وجعل فيها
سراجاً وقمراً منيراً » اليس فى هاتين
الآيتين دلالة صريحة على ما توصل
اليه العلم الحديث من أن الشمس

صلى الله عليه وسلم علم بها : لا عن
معلم ، ولا عن كتاب ، ولا عن أى
طريق أخرى غير القرآن ، قصة
موسى وغيره من الأنبياء وفى هذا
يقول الله سبحانه مخاطباً نبيه محمداً
صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه
من خبر موسى وقومه « وما كنت
بجانب الغربى إذ قضينا الى موسى
الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكننا
انشأنا قروناً فغطاؤل عليهم العمر ،
وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تنظو عليهم
آياتنا ولكننا كنا مرسلين . وما كنت
بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من
ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من
قبلك لعلمهم يتذكرون » .

(٥) اشتغاله على أمور غيبية
وحوادث مستقبلية أخبر بها وتحقق
وقوعها فيما بعد كقوله تعالى : « ألم .
غلبت الروم . فى أدنى الارض وهم
من بعد غلبهم سيفلون . فى بضع
سنين لله الأمر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر
من يشاء وهو العزيز الرحيم » .
(٦) اشتغاله على التشريعات
الروحية والادبية والاجتماعية
والسياسية والمالية التى كان — ولا
زال — لها اكبر الأثر فى اصلاح
المجتمع الإنسانى واستقراره ،
لبلوغها مرتبة الكمال التشريعى ،
ولخلوها من كل الفجرات التى تشتمل
عليها القوانين الوضعية ، وقد ذكرنا
عند الكلام عن جوانب الهداية القرآنية
كثيراً من التشريعات التى جاء بها
القرآن ، والتى نظمت علاقة الإنسان
بربه وبأخيه الإنسان .

(٧) اشتغاله على كثير من العلوم
والمعارف التى كشف عنها العلم فيما
بعد ، ولا زال يكشف عنها الى اليوم ،
وسوف يظل يكشف عنها على مدى
الدهر والى الأبد .

ولا نريد أن نستقصى كل ما حواه
القرآن تمريحاً أو تلميحاً من علوم

كوكب مضىء وأنها كالسراج نوره من ذاته وأن القمر كوكب معتم نسوره مستمد من غيره ؟ وهل يستطيع محمد — عليه الصلاة والسلام — وهو النبي الأمي ، والعلم بالأكوان والأفلاك ما زال في مدرج الطفولة — أن يقرر هذه الحقيقة من تلقاء نفسه ؟ كلا انه من علم الله العظيم الخبير ... أودعه في القرآن فكان من وجوه اعجازه .

المثال الثالث :

قوله تعالى في الآيتين (٣) و (٤) من سورة القيامة « أبحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوي بنانه » يقرأ العربي هذه الآية في عصر نزول القرآن فيفهم منها أنها تدل على أن الله قادر على أن يعيد الإنسان عند البعث بشرا سويا بكل أعضاء جسمه وعلى صورتها الأولى حتى ما دق خلقه من هذه الأعضاء وهو البنان .

ونقرؤها اليوم على ضوء العلم فنراها تغطى على ما توصل اليه العلماء من أن (بصمات) أنامل اليد لا تتشابه عند بني الإنسان فكل فرد له بصمات يتميز بها عن غيره ويمكن أن تكشف عن شخصيته ، وإعادة هذه البصمات المختلفة المتمايزة عند الحياة الثانية على ما كانت عليه لكل فرد عند الحياة الأولى شيء لا يعظم على الله سبحانه ، ولا شك أن انطواء الآية على هذه الحقيقة العلمية التي لم يكشف عنها العلم إلا حديثا ضرب من ضروب الاعجاز العلمي للقرآن الكريم .

(٨) سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض ولا شك أن هذا جانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم فالكتاب حافل بالقضايا العقلية والتشريعات الفقهية والحقائق العلمية والتاريخ والقصص ، والأمثال ، والأخبار عن وقائع ماضية وحاضرة ومستقبلية ،

وهو في ذلك كله صادق لا يرقى اليه كذب ، مصيب لا يعثره خطأ ، واضح لا يشوبه لبس ، متناسق لا يعترض نسقه تناقض أو تعارض ، مؤلف غير مختلف .

ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال لكتاب جمع الكثير من ألوان المعرفة وضروب الهداية والارشاد ، وضم الكثير من القصص والأخبار ووزعها وكررها في مواضع شتى على نحو من الإيجاز تارة ومن الإطناب أخرى ، مع تفاوت وتغاير وتفنن في التعبير يجعل القارئ مشدودا دائما إلى قراءته وسامعه دون سآمة أو ملل أو إحساس بنبوة ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال الا للقرآن الكريم : لأنه كلام الله الذي لا يضل ولا ينسى ، وصدق الله العظيم حيث يقول : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١٦) .

هذه هي جوانب الإعجاز للقرآن الكريم ، أو هي أهم جوانبه . ولقد نرى بعض العلماء يذهبون إلى أن إعجاز القرآن لا يرجع إلى أي من هذه الوجوه المذكورة وإنما يرجع إلى الصرفة ، ومعنى ذلك — على حد قولهم — أن القرآن الكريم كان في متناول العرب أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن معارضته فصاروا بذلك عاجزين عنها ، وهذا قول باطل ، لأنه يلزم عليه :

(١) أن يكون القرآن في مستوى كلام البشر ، وهذا مخالف للواقع ، وأرباب البلاغة من المشركين أنفسهم قد اعترفوا بأنه في أعلى درجات البلاغة التي لا يتناول إليها أحد منهم ، وفي وصف الوليد بن المغيرة للقرآن — وقد ذكرناه آنفا — ما يشهد بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء .

(٢) أن يكون المعجز في الحقيقة هو الله وليس القرآن ، مع أن آيات التحدى تكاد تكون صريحة في أن

الاعجاز راجع الى القرآن ذاته .
وعلى ذلك أنعقد الإجماع .

(٣) أن الإنس والجن — بصرهم
عن المعارضة بحيث أصبحوا عاجزين
عنها — صاروا بمنزلة الموتى ، وحينئذ
لا يكون للتحدى معنى ولا فائدة .

ولقد نرى — أيضا — بعض العلماء
يقصرون إعجاز القرآن على جانب
واحد من جوانب الإعجاز المذكورة ،
وهذا — إذا أخذ على ظاهره — خطأ
بين إذ أن كل ما ذكرناه من جوانب
الاعجاز متحقق في القرآن الكريم .

والظن بهؤلاء الذين قصروا إعجاز
القرآن على جانب من الجوانب التي
ذكرناها : أنهم لم يقصدوا بذلك أن
القرآن ليس فيه من جوانب الإعجاز
إلا هذا الجانب فقط ، وإنما قصدهم:
أن هذا الجانب الذي اقتصروا عليه
يحقق الإعجاز للقرآن الكريم ، وهذا
لا يمنع من وجود جوانب أخرى تحقق
نفس الشيء وبانضمام بعضها إلى
بعض يكون الإعجاز أتم وأقوى .

بقيت حقيقة يجب أن نعلمها ،
وهي :

أن إعجاز القرآن من ناحية فصاحة
كلماته ، وبراعة نظمه ، وجزالة
أسلوبه ، وبلاغته في الدلالة على
معانيه أمر متحقق في كل سورة بل
وفي كل آية تفيد فائدة تامة أما ما

وراء ذلك من جوانب الإعجاز
كاستتماله على أمور غيبية مستقبلية
وقعت بعد كها أخير عنها ، واشتماله
على التشريعات الحكيمة ، وانطوائه
على حقائق علمية لا يزال العلم
الحديث يكشف عنها ، فهذا لا يتحقق
في كل آية ولا في كل سورة وإنما
يتحقق في القرآن جملة ، ومن هنا
حقق العلماء أن التحدى بأقصر
سورة منه أو ما يعادلها أو بأى حديث
مثله مهما قصر كان للعرب أولا ، لأنهم
أرباب اللسان ، وقرسان البيان ، فإن
عجزوا هم عن معارضته فقيرهم
أعجز ، والتحدى بهذا القدر من
القرآن راجع الى فصاحة كلماته
وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه
وبلاغته ، وهو ما عبرنا عنه بالجانب
البياني ، وهذا كله متحقق — كما
قلنا — في القدر المتحدى به أيضا
كان .

أما غير ذلك من جوانب الإعجاز
التي تتحقق في القرآن ككل ولا تتحقق
في كل أبعاضه ، فذلك يدركه كل
إنسان عربيا كان أم غير عربي ، وهم
جميعا متحدون بالقرآن جملة ومن
كل هذه الجوانب بقوله سبحانه :
« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً » (١٧) .

(١) في الآية ٥ من سورة الفرقان .

(٢) في الآية ٦ من سورة الفرقان .

(٣) الآية ٤٨ من سورة المائدة .

(٤) في الآية ١٠٣ من سورة النحل .

(٥) في الآية ١٠٣ من سورة النحل .

(٦) في الآية ٣٠ من سورة الطور .

(٧) في الآية ٦٩ من سورة يس .

(٨) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٩) في الآية ١٣ من سورة هود .

(١٠) في الآية ٢٨ من سورة يونس .

(١١) الأينان ٢٢ و ٢٤ من سورة البقرة .

(١٢) الآية ٢٤ من سورة الطور .

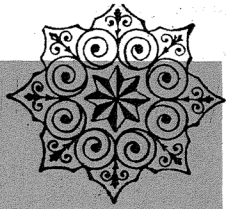
(١٣) في الآية ٤٤ من سورة الفرقان .

(١٤) في الآية ٧٣ من سورة الحج .

(١٥) انظر التفسير والمفسرون ٢ هـ ٢٧ .

(١٦) في الآية ٨٢ من سورة النساء .

(١٧) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .



الكاتبون في الدين

اللواء الركن محمود شيت خطاب

مزاي الدين الحنيف ، وتمعيق آثاره
فى النفوس والعقول معا .
ولكننى كنت خارج القاهرة غى
الايام الاولى من رمضان ، لذلك
تأخرت عن كتابة هذه الكلمة . وربما
كان الخير فى هذا التأخير ، لاننى
اطلعت على ما كتب فى الصفحات
الدينية ، فوجدت اكثر ما كتب دون
المستوى المطلوب ... ولا أزيد .
قد يكتب كاتب غى الجغرافية او
التاريخ او الكيمياء او الفيزياء او غى
العلوم الاخرى ، وهو لا يؤمن بهذه
العلوم من قريب او بعيد ، ومع ذلك
قد يفيد القارئ بما يكتب .
ولكن الذى يكتب فى الدين ، لا بد
له من الايمان المطلق بعظمة الدين ،
وان يعمل بتعاليمه نصا وروحيا ،
حتى يستطيع ان يفيد قارئه ويؤثر
فيه .
والكاتب الذى لا يؤمن ايمانا مطلقا
بعظمة الدين واهميته للناس منهجا
لحياة وسبيلا الى الدار الآخرة ،
لا يمكن ان يفيد قارئه بما يكتب ولا
يؤثر فيه .
ومن العجيب ان القارئ يستطيع

كنت ولا ازال وسأبقى اعتقد ان
الكتابة فى الدين والتكلم فى الدين
سلاح ذو حدين : اذا احسن الكاتب
او المتكلم ربيع من شأن الدين وجعل
الناس يقبلون على قراءة ما يكتبه
الكاتبون وسماع ما يقوله المتكلمون
بلهفة وشوق ، واذا أساء الكاتب
أو المتكلم حط من شأن الدين وجعل
الناس ينفرون من الدين ويعرضون
عن قراءة ما يكتبه الكاتبون فيه
وسماع ما يقوله المتكلمون عنه .
وفى هذه الكلمة الموجزة ،
سأقتصر على الحديث عن : الكاتبين
فى الدين ، وفى الكلمة القادمة بإذن
الله سأقتصر على الحديث عن :
المتكلمين فى الدين .

وقد كان من واجبي ان ابدى رايي
صريحا واضحا فى الكاتبين فى الدين
والمتكلمين فيه فى أول رمضان ،
بمناسبة تخصيص الصحف بمناسبة
حلول شهر رمضان المبارك صفحة
من صفحاتها للقضايا الدينية ، وهذا
عمل مشكور بدون شك ، فكان من
واجب الكاتبين فى الدين ان يستغلوا
هذه الفرصة الى ابعد الحدود لإبراز

ان يكتشف بسهولة بعد قراءة بضعة
سطور مما يكتبه الكاتبون فى الدين ،
هل الكاتب يؤمن حقا بها يقول ، أو
يكتب ما يكتب ارتزاقا ، أو طلبا
للشهرة والسمعة ، أو تظاهرا
ورياء .

فإذا وجد القارئ حرارة الايمان
فى السطور وبين السطور ، مضى فى
قراءته واستفاد منها ، والا ترك
القراءة غير آسف ، حرصا على وقته
من الضياع ، وحرصا على الدين من
التشويه .

وقد دأب كثير من القراء فى بلاد
المسلمين على قراءة المآلات والكتب
والمجلات الدينية .

ولكن هؤلاء القراء على كثرتهم
وعلى اختلاف بلادهم وجنسياتهم ،
يكادون يجمعون على قراءة ما يكتبه
الكتاب المؤمنون حقا بالدين وعظمتهم ،
والمطيعون عملا ما يكتبونه على
أنفسهم قبل ان يطالبوا غيرهم بتطبيقه
عمليا على أنفسهم .

وقد رأيت صدفة جماعة من
الازهريين يقبلون صفحات مجلة
اسلامية ، ولكنهم أعادوا المجلة الى
صاحب المكتبة لانهم لم يجدوا مقالا
لكاتبهم الذى يتقون دينه واستقامته .
وما رأيته فى القاهرة ، رأيته فى
مكة المكرمة وفى المدينة المنورة وفى
بغداد ودمشق وطرابلس .

ان الحاسة السادسة التى لا
تخطئ فى القراء ، هى التى تدلهم
على الكاتب المؤمن الحق ، الذى
يصوغ مايكتبه بأعصابه قبل أن
يصوغه بقلمه .

ونصيحتى للكاتب الذى يكتب فى
الدين من أجل الارتزاق أو الشهرة ،
أن يكتب فى مجالات أخرى غير الدين
لأنه سيخفق حتما فى مقالاته وأبحاثه
الدينية ، وقد يكتب له النجاح فى
مقالاته وأبحاثه فى مجالات أخرى .
واقصد بأنه سيخفق ، فى إمكانه

تكوين مدرسة من قرائه يؤمنون
أيمانا عميقا بالدين .

فلمست أجهل أن قسما من الكتاب
الذين كتبوا فى الدين ، وكانت حياتهم
سلوكا وأفكارا تناقض تعاليم الدين
الحنيف ، قد نجحوا فيما كتبوه من
مقالات وكتب نجاحا نسبيا ، نظرا
لشهرتهم السابقة وقوة أسلوبهم
الكتابى وذكاؤهم ، ولكن مقالاتهم
وكتبهم لم تستطع غرس الايمان
العميق بالدين فى أحد ، كما لم
يستطيعوا تكوين مدرسة من القراء
تهتدى بهدى آرائهم الدينية وتلتف
أقوالهم وتذيعها بين الناس . وربما
استطاعوا تكوين جماعة من الأدباء
الذين يكتبون فى الدين ويرتزقون بها
يكتبون ، وهؤلاء أدباء دينيون — أن
صح التعبير ، وليسوا كتابا مؤمنين
بالدين .

ان الهدف الحيوى للكاتبين فى
الدين ، هو غرس الايمان العميق فى
الانفس والعقول ، لا التجارة بالدين
والتظاهر به والارتزاق منه .

وقد كان السلف الصالح يعتبر
العلوم الدينية (عبادة) ، لذلك بارك
الله فى مؤلفاتهم وأبقاها نبراسا
للمؤمنين .

وخلف من بعدهم خلف يعتبرون
العلوم الدينية (تجارة) ، لذلك ذهبت
مؤلفاتهم صرخة فى واد ، وماتت فى
مهدا وأصحابها أحياء .

ولكن القول بأن الكاتب فى الدين
يجب أن يتحلى بمزية الايمان المطلق
بعضمة الدين وأن يعمل بتعاليمه نصا
وروحا ، لا يغنى عن كل قول .

فالواقع أن الكاتب فى الدين يجب
أن يتحلى بمزايا أخرى ، ولو أن المزية
السالفة هى الأساس الذى لا يكون
الكاتب فى الدين بدونها كتابا نافعا
وداعية موافقا .

يجب أن يكون الكاتب فى الدين
عالما بالمبادئ الدينية متخصصا بفرع

من فروعها كالفقه أو الحديث أو التفسير أو القضايا العسكرية من الناحية الدينية .. الخ ... وأن يكون قادرا على وضع أفكاره في صيغ كتابية سهلة الفهم مقبولة الأسلوب بعيدة عن الأخطاء اللغوية والبيانة .

وأن يكون قادرا على الدخول في موضوعه مباشرة ، دون مقدمات لا لزوم لها بغير اطناب ممل ، يبدد المعاني ويشقت الأفكار ويضيع الوقت سدى .

وإذا استطاع الكاتب في السدين أن يبرز فكرته في سطور ، فذلك أفضل من إبرازها في صفحات ..

وصفحة واحدة مركزة ، أفضل من خمس صفحات مطولة . وأبلغ الكتاب وأكثرهم تمكنا من موضوعه وأعمقهم بهدنه المباشر مما يكتب ، هو أقلهم كلاما وأوجزهم كتابة .

وكثير من القراء لا يطبقون قراءة الكتب الضخمة والمقالات المطولة ، وأكثرهم يفضل الكتب الصغيرة والمقالات المختصرة .

فإذا أراد الكاتب في الدين أن يغيد قراءه بما يكتب ، فليختصر ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وليهمل ما يكتبه بالمعلومات بدون حشو لا مسوغ له ، فإن ذلك سيضاعف من عدد قرائه ويزيد في غائدتهم .

ويجب أن يكون حريصا على إبراز الدروس والعبر الدينية التي تناسب الظروف الراهنة للشعب والوطن وللعقائد السائدة في تلك الظروف .

فإذا كانت البلاد والأمة في ظروف حربية كالظروف التي تمر بالامة العربية وهي تدافع عن حقوقها المشروعة ضد العدوان الاسرائيلي الموسمى الاستيطاني ، فلا بد من أن يكتب الكاتبون في الدين بحسونا ، ودراسات لها علامة بالجهاد ، وهناك بحوث لها أعظم الفائدة ، تستثير الهمم وتشد النفوس ،

يمكن استنباطها من تعاليم السدين الخفيف . وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الكتابة في : الجهاد بالانفس ، الجهاد بالمال ، كيف يمكن اخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملي ، الاسلام والحرب النفسية ، التولي يسوم الزحف ، الشهيد في الاسلام ، الحرب الشاملة في الاسلام ، عقاب المخلفين في الاسلام ، الكتمان في الاسلام ، أرادة القتال في الجهاد ، بطولات اسلامية ، قادة الفتح الاسلامي ، واجب رجال الدين في الحرب ... الخ ...

كما أن الشباب وهم يحتاجون صراعا فكريا لا هوادة فيه ، محتاجون الى دراسات عن الفكر الاسلامي الاصيل ، وكيف يعالج هذا الفكر القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية المعاصرة .

ان العقيدة لا تقاوم الا بعقيدة افضل منها ، وفي الاسلام مزاجا لو أبرزها الكاتبون في الدين كما ينبغي ، لاستطاعوا مضارعة الغزو الفكري والانتصار عليه .

ولست أكتف ما يجول في خاطري حين أقرأ بعض المقالات الدينية التي كتبت في الصحف بمناسبة حلول رمضان المبارك ، فكل مرة أقول نفسي : « ترى ! يعيش هؤلاء الكتاب في الدنيا ، أم هم يعيشون في الآخرة » ، اذ لا علاقة بين ما يكتبون وبين ظروف الامة والوطن !

وعلى الكاتبين في السدين أن يتعدوا عن الكلام المعاد ، وأن يفكروا في المبتكر الجديد ، وأن يجودوا ما يكتبونه بالدراسة العميقة المستفيضة والتفكير العميق الصادق ، لكي يفيدوا ويستفيدوا .

وعليهم أن يفكروا بالهدف مما يكتبون ، ويتوخوا هذا الهدف ولا

يحيدون عنه أبدا .

أما أن يكتب قسم منهم مقالات أو بحوثا (مرنة) ، لا هدف لها ولا غاية ، تصلح للتهاني والتعازي في آن واحد ، وتصلح للبدح والفسح في وقت واحد .. مقالات وبحوث عامة ، لا تضر عدوا ولا تنيد صديقا ، يخليل اليك حين تقرأها أن رائحة (الجيهات) التي تقاضاها الكاتب مكافأة عن كتابتها — تفوح منها أكثر مما يفوح العلم والإرشاد والتوجيه ، شأن ما يكتب في مثل هذا الحال كارتة من كوارث الفكر ومصيبة من مصائب الدهر .

وهو بدون أدنى شك يضر بالدين ويجعل الناس لا يقبلون على قراءة ما يكتب فيه وينشر عنه .

وعلى الكاتبين في الدين ألا يقتصروا على الناحية السلبية فيما يكتبون ، بل عليهم أن يهتموا بالناحية الإيجابية أيضا .

وأقصد بذلك ، أن كثيرا منهم يقتصر على ذكر الحقائق المجردة ، دون أن يبدي رأيه صريحا واضحا طاعما في الحلول العملية أو في التطبيق العملي .

فأولئك يكتبون في الجهاد بالمال مثلا ، يجب ألا يقتصروا على ذكر الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وأمثلة مما فعل السلف الصالح ، بالرغم من أن ذكر كل ذلك ضروري للغاية ومهم جدا .

بل عليهم أن يبديوا رأيهم في كيفية تطبيق الجهاد بالمال عمليا في مثل هذه الأيام : هل تتولى الدولة ذلك وكيف ، أم هل تتولى الدولة ولجان من الشعب وضع الجهاد بالمال في نطاق التطبيق العملي ، وكيف يتم ذلك ؟

هل من المفيد انشاء صناديق الجهاد ، وكيف السبيل الى ذلك ؟

أريد من الكاتبين في الدين ، أن يتحدثوا عن (المقدمات) وهي الحقائق

الدينية المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وآراء الأئمة وأعمال السلف الصالح كما سجلها التاريخ الاسلامي العظيم .

ولكن هذه (المقدمات) المجردة لا تكفي ، لأنها تذكر الناحية السلبية فقط ، إذ يجب أن تقرر النتائج بعد المقدمات ، وهذه النتائج هي : كيف يمكن تطبيق الناحية السلبية الواردة في المقدمات على الظروف الراهنة لتكون أعمالا إيجابية في مجال التطبيق العملي .

أن (المقدمات) لا تكفي بدون نتائج ، والنظريات السلبية ناقصة بدون اقتراح طريقة للتنفيذ الإيجابي في مجال التطبيق العملي ووضع الخطة اللازمة للتنفيذ .

أن الكتابة في الدين تحتاج الى الإخلاص للدين ، وتطبيق تعاليمه نصا وروحا ، والعلم الراسخ بالدين واللفظة ، والصبر الجميل على الدراسة والتفكير العميق لتحديد الهدف واقتناص الجديد ، وإبراز الدروس والعبر بالنسبة للظروف الراهنة ، وعدم الاكتفاء بالسلبية بل إبراز الإيجابية .

وكل هذا يحتاج الى التفكير العميق والسهر الطويل والصبر الجميل والإخلاص النادر والعمل الدائب والتنظيم الدقيق .

لذلك كان الكاتبون في الدين قليلين في كل زمان ومكان ، إذا أدخلنا في اعتبارنا أن هؤلاء الكاتبين أصحاب مدارس للدعوة وقادة طلاب دعاة ، وراجون ما عند الله من أجر لا ما عند الناس من مال .

يريدون وجه الحق ، والحق أحق أن يتبع . يقولون الحق ويغضبون له ، ولا يغضبون من الحق ولا يخشون فيه لومة لائم .

وفي تطبيق هذه المقاييس على الذين يكتبون في الدين اليوم ، فكم يبقى منهم في قوائم الحساب ؟!

شركات التأمين

من وجهة نظر الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الرحمن تاج

أعمال شركات التأمين نوعان :

الأول : تأمين على الحياة .

الثاني : تأمين على الأموال .

والتأمين في كلا النوعين مقتضاه ضمان السلامة . ولكن ذلك ليس مغناه منع المخاطر والحيلولة دون أسباب التلف والهلاك ، فإنه ليس في مقدور أحد أن يصد طارق الموت إذا حل ، أو يمنع النوازل السماوية إذا عرضت ، فيكون من أكبر العبث وأعظم الحماقة أن تضمن السلامة في شيء من ذلك أو يقبل هذا الضمان ممن يزعمه .

إن ضمان السلامة في مثل هذه الحالات ليس الا ضربا من المراهقات ، على معنى أن شركة التأمين تتفق مع من يتعاقد معها عقد تأمين على الحياة أو المال على أنه إن وقع عطب أو تلف أو هلال للشخص أو للشيء المؤمن عليه كان عليها تمويض تلك الخسارة بدفع ما التزمت دفعه من المال .

● من البحوث المقدمة لأئمة علماء المسلمين السابع الذي عقده مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة .

وصورة التأمين على الحياة أن يعقد شخص مع الشركة عقداً على مقدار معين من المال لمدة محدودة من الزمن ، كخمسة آلاف جنيه لمدة عشرين سنة ، يلتزم الشخص - بهذا العقد - للشركة دفع ذلك المقدار على أقساط شهرية مثلاً ، وتلتزم الشركة له دفع هذا المال كله أن تمت له السلامة الى نهاية المدة المحددة ، تدفع له هذا المال مع أرباحه الربوية أو من غير أرباح على حسب الشرط المتفق عليه ، وكذلك تلتزم دفع المال كله لو رثته أو لمن يعينه خلفاً له في هذا المال إذا مات في أثناء المدة ، ولو لم يدفع من مال التأمين إلا تسليطاً واحداً . ويلحق بالتأمين على الحياة التأمين ضد إصابة جزء من أجزاء الجسم . أما التأمين على الأموال فصورته أن يعقد شخص مع الشركة عقداً تضمن له به سلامة داره ، أو سيارته ، أو أثاث منزله ، أو بضاعته التي في متجره ، أو التي يريد نقلها من جهة الى أخرى في البر أو البحر أو ما الى ذلك من مختلف الأموال ، ويلتزم صاحب المال المؤمن عليه أن يدفع للشركة ضريبة معينة من المال كل سنة أو كل شهر على حسب الشرط .

ويختلف مقدار هذه الضريبة على حسب المال المؤمن عليه الذي يتفق الطرفان على مقدار قيمته .

وهذه الضريبة لا يستردها صاحب المال على كل حال ، وإنما تكون خالصة لشركة التأمين على خلاف الحكم في أقساط التأمين على الحياة ، ثم تلتزم الشركة لصاحب المال المؤمن عليه بأن تدفع له قيمة هذا المال كلها إذا هلك أو تلف بحرق أو غرق أو غير ذلك ما دام عقد التأمين قائماً ، ولو لم يدفع صاحب المال من الضريبة الادفعية واحدة .

الحكم الشرعى فى نوعى التأمين

لم يؤثر عن المتقدمين من علماء الاسلام كلام فى موضوع التأمين على الحياة أو على الاموال ، فلم يعرف لهم فيه قول بالحل أو الحرمة ، لأن هذا الضرب من التعامل لم يكن معروفاً في زمنهم في المحيط الإسلامى ولا في المحيطات القريبة منه . لكنه - في ظل قواعد الشريعة ومبادئها وعلى ضوء ما استنبطه العلماء المجتهدون من مصادرها من قيود وشروط - يمكن أن يوقف على حكم التأمين بنوعيه ، من وجهة نظر الشريعة الإسلامية ، بعد أن تعرف أوضاع هذا التأمين وآثاره القانونية ، وشروطه وقيوده العرفية التى تسيير عليها شركات التأمين ، وبعد أن يوزن ذلك كله بموازين الشريعة ، في نصوصها التفصيلية ، وعموماتها الكلية ، وما استقاه الأئمة المجتهدون من مصادر الفقه الإسلامى من ضوابط وقوانين ، فان ذلك اذا أخذ على وجهه الصحيح ، وفهم فهما جيداً عميقاً مستوعباً ، أمكن أن يستخرج منه حكم التأمين ، وكذلك حكم غير التأمين من كل ما يعرض في الحياة من شئون لم يكن للفقهاء السابقين عهد بها من قبل .

وعلى هذا الاساس نقول : ان عقود التأمين على الصورة التى قدمناها - ليس لها مسوغ من الوجهة الشرعية الإسلامية ، حتى في الحالة التى لا يشترط فيها على الشركة - في عقد التأمين على الحياة - دفع فوائد ربوية مع أصل مبلغ التأمين المتفق عليه لصاحب العقد على فرض بقائه حياً الى نهاية المدة المعينة ، فان العقد ذاته فاسد مشتمل على شروط فاسدة ، وعلى طريقة

يستباح بها أكل أموال الناس بالباطل . ومثل ذلك يقال فى حكم التامين على
الأموال كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل .

هذا وقد أورد ابن عابدين - فى حاشيته على الدر المختار (١) - بحثا
فيها استخرج به حكم الشريعة فى التامين على الاموال ، لأنه هو الذى كثر
السؤال عنه فى زمنه معبرا عنه باسم (السوكرة) وقد قال فى صسورتها :
« انه جرت العادة أن التجار اذا استأجروا مركبا من حربى يدفعون له أجرته
ويدفعون ايضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده ، يسمى ذلك المسال
(سوكرة) على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو غرق أو نهب
أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستامن فى
دارنا يقيم فى بلاد السواحل الإسلامية باذن السلطان يقبض من التجار مال
السوكرة ، واذا هلك من ماله فى البحر شيء يؤدى ذلك المستامن للتجار بدله
تماما » .

قال ابن عابدين : « والذى يظهر لى انه لا يحل للتاجر اخذ بدل الهالك من
ماله ، لأن هذا التزام ما لا يلزم » .

أى أن ما لا يلزم شرعا لا يصح التزامه ولا الإلزام به ، فلا يحل لمسلم
أخذه ، ولا يجوز التعاقد عليه ، فان العقد حينئذ يكون فاسدا .

واذا كان هذا هو حكم عقد التامين الذى يجرى بين مسلم ومستامن ،
من حيث أن المستامن قد التزم أحكام الإسلام فى التعامل مدة بقائه فى دار
الإسلام ، وأنه لذلك قد صارت أمواله كأموال الذميين فلا يجوز أخذ شيء من
ماله بغدر أو بعقد فاسد - اذا كان الأمر كذلك بين المسلم والمستامن فأولى أن
يكون العقد (عقد التامين) فاسدا ولا يحل أن يؤخذ به شيء من المال اذا جرى
بين مسلم وذمى ، أو بين مسلم ومسلم .

وخلاصة القول أن المسلم ممنوع من الغدر ومن الاستيلاء على مال أحد
بغير حق ، سواء كان مسلما أم ذميا أم مستامنا . ولا يحل له أن يعقد فى دار
الإسلام مع أحد من الذميين أو المستامنين الا ما يحل أن يعقده مع المسلمين .
هذا - وان وضع مسألة التامين على الأموال على الصورة التى عرضها
(ابن عابدين) واضح منه أن عنصر المستامين قام وسيطا بين التاجر المسلم
والحربى الذى هو الطرف الآخر فى عقد التامين . وقد علم أنه لا يجوز للمسلم
مباشرة عقد فاسد فى دار الإسلام مع أحد من المستامين ولا يحل له أن يأخذ
بهذا العقد شيئا من مال حربى أو مستامن . فإذا لم يكن فى المسألة ذلك العنصر
الوسيط المستامن ، وأجرى عقد التامين فى دار الإسلام بين المسلم والحربى
مباشرة بطريق المراسلة ، أو أجرى بينهما فى دار الحرب بعد دخول المسلم
مستامنا فى تلك الدار أو أجرى بين الحربى وبين حربى آخر شريك للتساجر
المسلم فإذا يكون الحكم من حيث صفة العقد ، ومن حيث استيلاء المسلم به
على مال التامين من الحربى .. ؟

و (الجواب) أنه فى دار الإسلام لا يحل للمسلم أن يعقد عقدا فاسدا
مطلقا كما قدمنا .. وعلى هذا اذا عقد المسلم عقد التامين وهو فى بلد الإسلام
بطريق المراسلة مع الحربى فلا يحل له أن يأخذ مال التامين ولو كان القبض قد
حصل فى بلاد الحرب لأنه إنما يأخذه بناء على عقد فاسد وقع فى بلد الإسلام .
واذا كان العقد قد أجرى فى دار الحرب بين الحربى والتاجر المسلم الذى
دخل تلك الديار مستامنا فان هذا العقد لا يأخذ أحكام الإسلام هنالك ، لأن دار
الحرب ليست دار أحكام . فإذا تم قبض المال هنالك أيضا جاز للمسلم أخذه

لأنه يكون أخذ مال لحربي برضاه . وأخذ مال للحربي برضاه جائز بكل حال .
وبكل وجه وسبيل . حتى من طريق الربا والقمار . ما دام ليس في ذلك غدر
فإن الغدر ممنوع على كل حال .

أما إذا اتفق على أن يكون القبض في بلد الإسلام بعد تمام انعقد في بلد
الحرب فإن تم القبض بقرض من غير خصومة جاز للمسلم أخذ المال ، كما جاز
ذلك في بلد الحرب . . وإن كان هناك تناكر وخصومة فلا يسمع القاضي المسلم
أن يحكم بذلك المال الذي لم يكن التزامه إلا لعقد فاسد .

ومن هذا يعلم أيضا حكم المسألة إذا كان للتاجر المسلم شريك في التجارة
حربي هو الذي أجرى عقد التأمين مع حربي آخر وقبض منه مال التأمين بعد
هلال التجارة وبعثت به إلى شريكه المسلم فانه يحل له أخذه . لأنه مال حربي
أخذ برضاه بناء على عقد أجرى في دار الحرب وتم فيه القبض هناك .



مما تقدم يعلم أن الأصل في الحكم بفساد عقد التأمين وعدم جواز أخذ
المال الذي يدفع تمويضا عن الهالك أو التالف هو أن الشركة التي يطلب منها
أن تدفع التمويز لا تدخل لها ولا تسبب من قبلها في ذلك التلف أو الهالك ،
ولم يكن منها غدر ولا تغريب بالشخص المتعاقد معها في نفس أو مال ، فيكون
الزامها بمال التمويز اكلا لأموال الناس بالباطل . وذلك مبني عنه التمسك
النبي . .

(قد يقال) أن عقود التأمين تجري دائما مع شركات مساهمة يمكن أن
تعتبر شركات تعاونية على الخير والبر ، يتعاون أصحاب الأسهم فيها على
تمويض الخسارة . . التي تلحق أحدهم في نفسه أو ماله . . مما يدفعونه من
أقساط شهرية أو سنوية ، تجمع وتستثمر لينفق منها في مثل هذا الغرض . .
وحينئذ تكون هذه الشركات شبيهة شبيها قويا بجمعيات البر التعاونية التي يتكون
صندوقها من اكتتابات شهرية مثلا لينفق منها على المحتاجين من أعضاء الجمعية
بسبب توقف عن الكسب ، أو بسبب المرض أو غيره من الطوارئ التي يحتاج
فيها إلى المعونة .

والجواب عن هذا أنه لا يمكن قياس شركات التأمين على جمعيات البر
التعاونية ، ولا يكفي لتصحيح هذا القياس أن يكون في كلا الطرفين اكتتاب من
الأعضاء المشتركين في المنشأة بجزء من المال لينفق من المجموع على النقص
المذكور . فإن الأمر في جمعيات البر التعاونية لا يخرج عن نطاق التبرع المحض
من جميع المكتتبين ، والاتفاق من المال المجموع في الوجوه المخصوصة هو تبرع
أيضا مبني على تبرعات أعضاء الجمعية بذلك الاقسط ، فليس هناك الزام
بواجب ولا التزام بحق يصبح أن يكون محلا للتنازع والخصومة والحكم به من
حاكم بحكم بالشريعة الإسلامية . وليس الأمر كذلك في التعميز الذي تدفعه
شركة التأمين لمن يصاب في نفسه أو ماله فإن عقد التأمين يوجب له بحسب
القانون حقا على الشركة بمقتطع أن يقاضيها عليه ، ويطلب — من أجله —
الحكم عليها بجميع ما ألزمت به ، تمويضا عن الخسارة التي لحقت ، وذلك
الزام بشيء لا يلزم شرعا .

قد يقال أيضا : إذا كان التأمين غير جائز شرعا للمعنى الذي بين هنا وهو
أن فيه التزاما والزاما بشيء لا يلزم شرعا ، وفيه أيضا استباحة لكل أموال

الناس بالباطل ، فكيف يتفق ذلك مع ما اشتهر عن المرحوم الشيخ (محمد عبده) من أنه أجاز عقد التأمين على الحياة مع اشتغاله على ذلك المعنى عنه : « التزام لما لا يلزم شرعا وأكل للأموال بالباطل » .. ؟
نعم ، قد اشتهر عن الشيخ محمد عبده (رحمه الله) أنه قد أفتى فى موضوع التأمين على الحياة فتوى أصدرها حينها كان مفتيا للديار المصرية ، ولم يعقب عليها أحد من العلماء ولا من غيرهم ممن تعنيهم شئون الاسلام (٢) .
وقبل الجواب عن ذلك يحسن أن نورد نص السؤال الذى تقدم به المستفتى الى دار الافتاء ونتبعه بنص الفتوى التى أصدرها الشيخ (محمد عبده) ثم ننظر فى هذه الفتوى ومبلغ ما تدل عليه وما يمكن أن يتمسك به من منطوقها أو مفهومها ، لتقر الامور فى نصابها ، وليهدأ بال الناس ويطمئنوا الى أحكام الشريعة وما ينبغى أن يقال فى موضوع التأمين على الحياة أو على الاموال .

وهذا هو نص ما ورد فى صوغ السؤال :

« سأل جناب المسيو هور روسل ، فى رجل يريد أن يتعاقد مع جماعة (شركة) مثلا على أن يدفع له مالا من ماله الخاص على اقتساط معينة ليعملوا فيها بالتجارة واشترط عليهم أنه اذا قام بما ذكر وانتهى آن الاتفاق المعين بانتهاء الاقتساط المعينة ، وكانوا قد عملوا فى ذلك المال وكان حيا فياخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الارباح ، واذا مات فى أثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية فى ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح ، فهل مثل هذا التعاقد الذى يكون مفيدا لاربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا .. ؟ نرجو التكرم بالاجابة » ..

وقد اجاب الشيخ محمد عبده عن ذلك بما يلى وهو نص الفتوى المشهورة :
« لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقتساط والعمل فى المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما يخصه فى الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف فى ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم » (٣) .
هذه هى الفتوى التى اشتهرت عن الشيخ محمد عبده فى موضوع التأمين والتى كان يستخدمها أصحاب المصالح فى الترويج لشركات التأمين وهى التى يستند اليها من يستشكل عليه الحكم بفساد عقود التأمين من وجهة الشريعة الاسلامية وأن أخذ مال التأمين من قبيل أكل أموال الناس بالباطل .

والطلع على السؤال وعلى جوابه لا يرى فيها شيئا يتعلق بموضوع التأمين على الحياة أو على الاموال ولا يجد فى السؤال ولا فى جوابه أثرا للاركان الاساسية التى يشتمل عليها كل عقد من عقود التأمين والتى بسببها يكون الحكم على تلك العقود بالفساد .

ان هذا السؤال لا ينطبق الا على نوع من الشركات الشرعية التى يكون المال فيها من جانب والعمل فيه بطرق الاستثمار التجارية أو الصناعية من جانب آخر ، وهو ما يسمى فى عرف الفقهاء (بالمضاربة) كما يسمى بالقراض .
لم يعرض السؤال للعناصر الجوهرية فى عقود التأمين ، مثل اشتراط أن تدفع شركة التأمين جميع المال المؤمن به ولو كان عشرات آلاف أو مئات آلاف

الجنهيات اذا حصل هلاك أو عطب لصاحب التأمين ولو لم يدفع من الاقساط المنجحة على عدة سنوات الاقساط واحدا ، فان هذا الشرط هو صلب المخاطرة والمقامرة ، وهو الذى يلزم به ما لا يلزم شرعا ويستباح به من المال ما ليس بحق ، وتؤكل به أموال الناس بالباطل .

ليس فى سؤال المستر (هور رويسل) الذى تقدم به الى دار الافتاء تعرض لمثل هذا الشرط الذى يفسد به التعاقد ، ولم يعرض السؤال أيضا لنوع الربح الذى ينتج من استثمار المال ولا لطريقة هذا الاستثمار (٤) . والمفتى لا يسمع الا أن يجب عما يعرض عليه من سؤال وليس عليه ذنب ولا تبعة اذا كانت فتواه تستخدم فى غير ما وضعت له الا اذا أعلم بذلك بعد وقوعه فلم ينكره أو كان يعلم من قبل أن فتواه الصريحة فى تجويز شركة المضاربة والقراض مثلا ستخذ ذريعة للترويج لشركات التأمين .

واجب على المفتى فى مثل هذه الحالة الثانية أن يسد طريق الفساد على من يريده ، فيبين فى نص فتواه الحكم الشرعى — وان لم يكن مسئولا عنه — فى الموضوع الذى يظن استخدام فتواه فيه ، كموضوع التأمين .

قد يقال : ان أبوابا كثيرة فى الفقه الإسلامى — مثل أبواب الوديعة والإجارة والكفالة قد اشتملت على مسائل وصور عقود قرر الفقهاء الحكم بصحتها ، وبأنه يجب فيها ضمان ما يتلف أو يهلك من مال لأحد المتعاقدين على الآخر وهذه المسائل والعقود يمكن أن تقاس عليها مسألة التأمين على الأموال فيحكم فيها بصحة العقد ووجوب ضمان المال المؤمن عليه لصاحبه فى حالة التلف أو الهلاك .

فى باب الوديعة قال الفقهاء : « انه اذا أودع شخص عند آخر وديعة وجعل له أجرا على حفظها فان المودع المشروط له الاجر يضمن هذه الوديعة اذا هلك . فينبغى أن تكون مسألة التأمين على الأموال كذلك ، فان ما يدفعه صاحب البضاعة مثلا من مال لشركة التأمين يعتبر بمنزلة الاجرة على حفظ هذه البضاعة ، كأجرة المودع على حفظ الوديعة . فاذا هلك البضاعة كلها أو بعضها كان على شركة التأمين ضمان ذلك » .

وفى باب الإجارة قال الفقهاء — فى الاجير المشترك ، وهو الذى لا يقتصر نفسه على العمل — لشخص بعينه كالخباز والطحان والكواء والخياط — انه مسئول عن سلامة ما فى يده من مال للمستأجر فاذا تلف شيء منه كان عليه ضمانه . وعلى هذا يمكن اجراء هذا الحكم فى مسألة التأمين على الأموال فتكون شركة التأمين بمنزلة الاجير المشترك الذى يضمن المال لصاحبه اذا تلف أو هلك .

وفى باب الكفالة قال الفقهاء أيضا : « انه اذا كان رجل معه مال يريد الانتقال به من بلد الى بلد آخر وهو يخشى اللصوص وقطاع الطريق ولا يدرى أى الطرق المأمون وأيها المخوفة فأشار عليه رجل بسلوك طريق معين وقال له : « اسلك هذا الطريق فانه طريق مأمون ، ولو أخذ مالك فيه فأتانا ضامن له ، فانه يجب عليه ضمان ذلك المال اذا أخذ من صاحبه فى ذلك الطريق » .

فهذه مسألة يمكن أن تكون من المسائل أو أقرب المسائل التى ينبغى أن تحمل عليها مسألة التأمين على الأموال التى يراد نقلها بالبر أو البحر أو التى يؤمن عليها فى المتاجر أو المصانع أو المنازل خشية الحرائق أو السرقات أو ما شابه ذلك .

هذه هي المسائل التي يمكن ان يتعلق بها من يريد اباحة عقود التأمين على الاموال ممن يأخذون الامور اخذا ظاهريا من غير بحث ولا تحييس .

لكن هذه المسائل جميعها لا يصح التمسك بشيء منها لاباحة التأمين اذا اخذت على اصولها وفهم فيها جيدا ما قاله العلماء فيها .

وذلك ان مسألة الوديعة على الصورة التي قدمناها — وهي ما تكون باجر على الحفظ — لا يثبت فيها ضمان المال بالتلف او الهلاك في كل حال . انما ذلك في الاحوال التي يمكن فيها الاحتراز عن اسباب الهلاك او التلف . فاما اذا كان السبب مما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والفرق فلا يجب فيها ضمان على المودع . واذا لا يفيد شيئا حمل عقود التأمين على هذه الوديعة ، فان مقتضى عقود التأمين وجوب ضمان المال في كل حال وبكل سبب من اسباب الهلاك ، من غير فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن . بل ان الغالب في هذه العقود انها مقتضية للضمان في الاحوال التي لا يمكن فيها الاحتراز من اسباب الهلاك ، كما هو معروف .

على انه لا يمكن اعتبار المال المؤمن عليه وديعة عند شركة التأمين ولا يمكن اعتبار هذه الشركة اجيرة على حفظه حتى يصح قياس مسألة التأمين على مسألة الوديعة ، فان المال المؤمن عليه ليس في يد الشركة ولا تعلق للشركة به ، فليست المتاجر والمخازن والمصانع التي فيها المال المؤمن عليه اماكن لشركات التأمين ، وليست البضائع المنقولة في البحر محمولة في مراكب هذه الشركات ، فلا علاقة لهذه الشركات بالمال المؤمن عليه بحال من الاحوال ، واذا لا يكون هناك وجه شرعي لاجاب الضمان عليها في حالات الغصب او الهلاك ، فانها ليست جهة مودعة عندها الاموال ، ولا اجيرة على حفظها .

ثم اذا كانت شركة التأمين هي صاحبة المراكب التي تنقل عليها البضائع في البحر مثلا فانه يمكن اعتبارها اجيرة على النقل وعلى الحفظ من قبيل الاجير المشترك الذي تقرر في الفقه الاسلامي حكمه ، وهو انه لا يجب الضمان عليه في حالات التلف او الهلاك اذا كان سبب ذلك مما لا يمكن الاحتراز عنه . . وليس كذلك الحال في عقود التأمين كما علمنا .

بقي الكلام في المسألة الاخيرة التي قلنا إنها اقرب المسائل التي قد يتعلق بها من يريد اباحة التأمين على الاموال ، وهي مسألة الكفالة وضمان سلامة الطريق ، والحكم الذي قرره الفقهاء فيها هو ان من أشار على صاحب مال بسلوك طريق معين ملتزما بضمان المال اذا هلك من صاحبه في ذلك الطريق لا يجب عليه ضمان شيء الا اذا كان صاحب المال لا يعلم حقا ما في الطريق من خطر وكان المرشد لسلوكه ذلك الطريق يعلم جيدا ما فيه من معاطب ومخاوف فانه اذا كان الامر كذلك كان المرشد للطريق غاشيا غارا صاحب المال ، فيغرم ما ضاع منه ، اما اذا كان المرشد لا يعلم ما في الطريق من خطر ، بل كان يعتقد امهنا واتمه ليس فيه ما يخاف ويحذر فليس عليه ضمان شيء . وكذلك اذا كان المرشد يعلم بخطر الطريق وكان صاحب المال يعلم ذلك ايضا فانه لا ضمان على المرشد ، لان صاحب المال في هذه الحالة يكون هو الذي عرض ماله للضياع ، فانه ليس أحد أحرص على المال ولا أحفظ له من صاحبه ، فإرشاد المرشد في هذه الحالة لم يأت بشيء جديد ولم يحصل شيئا كان غير حاصل ، فلا يكون موجبا لضمان .

(وبعد) فإن استقصاء قواعد الشريعة وأحكامها وما بنيت عليه هذه القواعد والأحكام من نصوص خاصة وعمومات شاملة يثبت أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة إلا إذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق أو اضاعه على صاحبه ، أو أفسد عليه الانتفاع به بطريق المباشرة أو التسبب ، ولا شيء من ذلك بمحقق في شركة التأمين التي يقضى التعاقد معها أنها تضمن لصاحب المال ما يهلك أو يتلف أو يضيع بغيره أو حرق أو بفعل اللصوص وقطاع الطريق أو ما إلى ذلك ، سواء أكان ذلك مما يمكن الاحتراز عنه أم لا . . وتضمن الأموال بهذه الصورة شيء لا تعرفه الشريعة الإسلامية الفاضلة التي لا تفر الغبن والخياف ولا تبيح أكل أموال الناس بغير الحق .

شركات التأمين لا علاقة لها مطلقاً بالأموال المؤمن عليها ، وكل عملها أنها تكون من أقساط التأمين — التي تجمعها من المتعاقدين معها أصحاب تلك الأموال — رأس مال كبير توجهه للاسترباح في قروض وغير قروض ثم تدفع من أرباحه العظيمة ما يجب عليها قانوناً من تعويضات عن الخسائر التي لحقت الأموال المؤمن عليها . وليس للشركة دخل في أسباب هذه الخسارة لا بالمباشرة ولا بالتسبب فمطالبتها بتعويض الخسارة ليس لها وجه شرعى ، كما أن الأقساط التي تجمعها من أصحاب الأموال بمقتضى عقد التأمين ليس لها وجه شرعى أيضاً . . فهذه اشتراطات والتزامات فاسدة ، والعقد إذا اشتمل على شرط فاسد كان فاسداً .

إن شركات التأمين هي شركات استرباح بارعة ، رأس مالها في أغلب الأمر هو ما تجمعها من أقساط من أصحاب عقود التأمين ، تستغل هذه الأموال وتستثمرها ، والأرباح التي تستفيد منها أعظم بالضرورة مما تخسره في حالات التعويض لمن تلحقهم خسائر في الأموال المؤمن عليها . وذلك أن أعمال شركات التأمين مبنية على دراسات دقيقة وإحصاءات شاملة لواسائل النقل في البر والبحر وحالات السلامة وحالات العطب في الظروف العادية وأوقات السلم والأمن . هذه الدراسات والإحصاءات تثبت أن مرات العطب والتلف قليلة جداً ، بل هي نادرة بالنسبة لمرات السلامة ، فلا يضير شركات التأمين أن تعوض من كسبها الواسع عن خسارة هذه الحالات النادرة ، ثم يكون لها الباقي ربحاً خالصاً .

هذا شيء واضح ومعهود في شركات التأمين على الأموال . ومثله يقال في شركات التأمين على الحياة مهما اختلفت الأساليب وتنوعت الطرائق والشروط .

وخلاصة القول أن تعاقد شركات التأمين على الأرواح أو الأموال لا يمكن أن يدخل في باب صحيح من أبواب المعاملات الشرعية . . وغاية ما يمكن تصويره به أنه من قبيل النوع الثالث الذي أشرنا إليه وهو ضمان أمن الطريق فيكون ضماناً لسلامة النفس والأموال ، وقد قلنا في ذلك النوع الثالث : « أنه لا يثبت فيه الضمان شرعاً إلا إذا كان هناك تغرير من هذا الضامن بأن كان يعلم ما في الطريق من مخاوف ومعاطب ، وكان صاحب المال الذي يسلك به الطريق — بناء على ذلك الإرشاد — لا يعلم أصلاً بهذه المخاوف والمعاطب . فضامن

السلامة حينئذ يجب تضمينه المال الهالك ، بسبب التفرير الذى كان منه لا بسبب آخر ، والتفرير منتف فى موضوع عقود التأمين .

(وبعد) فهذه أوضاع شركات التأمين .. والقوانين الوضعية قد أباحت طرق الكسب التى تجرى على مثل هذه الأوضاع ما دام يتفق عليها المتعاقدان ، والاتفاق شريعة المتعاقدين فى نظر هذه القوانين ..

لكن الشريعة الإسلامية لها أوضاعها واحكامها الخاصة .. وقد قيدت انواع المعاملات بين الناس بشروط لا يسوغ الإخلال بها ، أو الاتفاق على خلافها .

وإذا كانت القوانين الوضعية لا تقر أى اتفاق أو تعاقد بين اثنين إذا كان مخالفا للنظام العام ، فأحكام الشريعة الإسلامية المقصود بها التعامل بين الناس جميعا يجب ملاحظة أنها من النظام العام الذى لا يجوز الإخلال به أو الاتفاق على خلافه .. والله أعلم ..



(١) هاشية « رد المحتار على الدر المختار » فى « فصل استئمان الكافر » من باب المستامن (الجزء الثالث ص ٢٤٥ - ٢٤٦) .

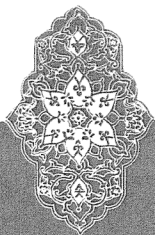
وابن عابدين هو من علماء القرن الثالث عشر الهجرى أى أنه لم يكن من المتقدمين الذين قررنا أنه لم يؤثر عنه كلام فى موضوع التأمين .

(٢) بالرجوع الى السجلات الرسمية لدار الإفتاء يعلم أن هذه الفتوى صدرت فى شهر صفر من سنة ١٣٢١ بناء على طلب من يدعى الخواجة (هور روسل) ويعلم أيضا أن شخصا آخر له مصلحة من وراء هذه الفتوى تقدم الى دار الإفتاء يطلب صورة منها ، وأنه أجيب الى طلبه من غير توقف ، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من سنة ١٣٤٧ (مايو سنة ١٩٢٩) على عهد مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم .

(٣) وقد حررت صورة من هذه الفتوى بإذن من مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم وأعطيت للخواجة (جورج فوشيه) وكيل شركة التأمين على الحياة (لاجنفواز) بناء على طلبه .

(٤) نعم لم يعرض السؤال لتويع الربح ولم يبين هل هو جزء نسبى من الأرباح الحاصلة من عمل الشركة ، كعشرة أو خمسة فى المائة مثلا من هذه الأرباح أو جزء نسبى من المال المدفوع للشركة لتعمل فيه ، كان يشترط لصاحب المال من الأرباح ما يساوى عشرة فى المائة مثلا من المال الذى دفعه للشركة ، وفرق كبير بين الأمرين هو الفرق بين الحلال والحرام .

هذا ولا شك أن الجارى فى عقود التأمين هو النوع الثانى الذى يكون فيه الربح المشروط جزوا نسبيا من رأس المال المدفوع للشركة وهو المحرم باجماع المسلمين . لكن السؤال قد أخفى هذه الحقيقة الواقعة ليلقى بذلك الإبهام مستارا على النقط المحرمة التى توجب فساد العقد شرعا .



أهداف مجتمع الإسلام

الدكتور : مصطفى عبد الواحد

لتجمع الناس بعضهم مع بعض مقاصد يحصل بعضها بالضرورة ، ويتحقق باقيها بالإرادة والمعاناة ..

فقد كانت نزعة التجمع الانساني صادرة عن الشعور بالحاجة الى تضافر الجهد على تحقيق المطالب الضرورية التي لا يقدر عليها الانسان منفردا ، من أمر معاشه وقوامه ..

وهذا الضرب من الاجتماع — كما يقول ابن خلدون — « ضرورى للنوع الانساني ، والا لم يكمل وجودهم وما اراده الله من اعتبار العالم بهم واستخلافه اياهم (١) ..

فهل للإسلام من هدف فريد حين يقيم مجتمعه ويبنى صرحه على أساس من العقيدة ويشيد دعائمه على وحيا .. ؟

أو : ما الغايات الفذة التي يبتغيها الاسلام من تحقيق منهجه الاجتماعى وصبغ المجتمع بصبغته ؟



يمكن القول إن الاسلام فى بنائه لمجتمعه يهدف الى اقامة الحياة المتوازنة

التي تتجلى فيها خصائص الفطرة وتتسق مع دور الانسان فى الحياه .
والانظمة الاجتماعية تختلف باختلاف فلسفتها وأسسها الفكرية ، كما
تختلف باختلاف أهدافها وغاياتها القريبة والبعيدة ، والاسلام يقيم مجتمعه على
اساس نظريته الى الانسان وادراكه لرسالته وخصائصه .
انه يرى فى الانسان كائنا متميزا ، يجمع الى طاقاته المادية التي تقتضيه
الالتفات اليها واجابة ندائها ، طاقات روحية تدفعه الى غايات سامية ذات صدى
بعيد فى كيانه .

انه ليس حيوانا يصفى الى صوت غرائزه فحسب ، عاكفا على اشباع
رغائبها وتحقيق مطالبها ، كما انه ليس ملكا يتسامى عن المادة وينطلق من
أصارها ..

ولهذا فان كيان الانسان الحق لا بد أن يقوم على رعاية كلا الجانبين والوفاء
بحاجاته المادية والمعنوية ..

فلا بد للمجتمع المسلم أن يبرز الأهداف الروحية وأن يوليها من الرعاية
والاهتمام ما يولى الأهداف المادية التي تعد ضرورة للانسان ..
وهو بهذا مجتمع متميز فى منهجه عن المناهج الاجتماعية قديمها وحديثها ،
فلا يقصر نظره على مطالب المادة ، ولا يسمى نحو رفاهية العيش فحسب ، ولكنه
يقرن ذلك ، بل يؤثر عليه ، أن يمكن الانسان من عبادة خالقه وأن يرشده فى
مسلكه فى الحياة ، وأن يصحح اتجاهه فى دنياه ويحول بينه وبين الفوضىلة
والشقاء ..



والآية التي تحوى شعار المجتمع الاسلامى وتوجز أهدافه هى قول الله
سبحانه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله (٢) » ..

فلنلج فى أنوارها الغايات التي يبتغيها الاسلام من مجتمعه والأهداف التي
يوجه اليها أبناءه ..

انها تعلمنا أن المجتمع المسلم ليس مجتمع كلاً يتجمع أفراداه على مثل
ما يتجمع عليه الحيوان ، وليس مجتمعاً قصير النظر يلتفت الى أحد جوانب
الانسان ثم يعيش عن أخطر الجوانب وأولاها بالاهتمام ، فيخطئ فى تقدير
الانسان ويضل فى توجيهه ..

بل هو قبل كل شيء مجتمع مبادئ صالحة ، عليه أن يستمسك بها وغايات
شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية عليه أن يسعى نحوها .

فعليه أولاً أن يحقق قيام الحياة الإنسانية على الايمان بالله سبحانه
والخضوع لإرادته والنزول على حكمه وابتغاء رضوانه ، ثم يتجه بالبشرية الى
أقوم ما يمكن أن يرقى اليه البشر ويسمو بها الى آفاق الحياة الكريمة المتوازنة .
ولذلك يحقق الخير ويدعو اليه ، ويتأى عن الشر وينهى عنه ، ويقيم نظمه
وبرامجه على أساس المبادئ الأخلاقية التي تصل بالفرد الى المستوى الذى
يصلح له ..



ثم يسمو الاسلام بمجتمعه إلى الأفق الانسانى الشامل ، فيجعل عليه واجبا بعد أن ينجح فى اصلاح نفسه وتقويم بيئته ان يمد النظر إلى الآفاق المظلمة فى الأرض ، فى كل مجتمع يشقى بجهله ويتعثر فى سعيه ويضل فى اتجاهه غيرشدد ويدعو ويبين ويصلح ، حتى يعم الخير فى الأرض ويسعد الانسان فى كل مكان . وهذا ما يدعو اليه القرآن بقوله مخاطبا جماعة المؤمنين :

« يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » (٣) .

وفى ذلك تبدو نظرة المجتمع المسلم الى خير الانسانية جميعا وسعيه الى إسعاد البشر ، لايقف عند حدود ضيقة ولا يبتغى نفعا قريبا ، فما دام فى الأرض جهل وانحراف ، وما دام فيها ظلم وفساد ، فان على المجتمع الاسلامى واجبا لا يسقط ، وعبئا لا يخف ولا يهون . ومن هنا يفترق المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات التى لا تلتزم بواجب انسانى ولا تتحمل رسالة منزهة عن الهوى والغرض ، من أجل نفع الانسان والأخذ بيده إلى الخير والرشاد . بل تقتصر تلك المجتمعات على أهداف مادية محدودة لا تعدو تحقيق الرغاهية والمتاع لأبنائها أو بعض أبنائها ، على خلاف فى أنماط المجتمعات .



والمجتمع المسلم يهدف فى سعيه الأول إلى ان يحقق وجود الانسان ذى الفطرة الصحيحة ، وان يعينه على أن يحيا الحياة المتوازنة التى أرادها الله للانسان . فهو مجتمع يدرك حقيقة الانسان ويضع برامجها وفق ما يلائم فطرته ، ويمكنه من أن يؤدى واجبه ويحيا فى نطاق الاصيل . والانسان فى كل زمان بحاجة الى ذلك المجتمع الذى يحول بينه وبين تدمير نفسه والتردى فى مهاوى الشقاء . غربا يبتهج الانسان حين يحيا فى بيئة تفتح له أبواب الشهوات ، أو تتيح له أن يصنع ما يشاء ، ولكنه لن يسعد بذلك أبدا ولن يستقيم .

إنه حقا بحاجة الى البيئة التى تضع له علامات فى طريقه ، تنذره بمواطن الخطر ، وتوصد أمامه سبيل الهلاك . . وذلك ما يصنعه المجتمع المسلم بالانسان . .

إنه يرسم له اطارا لا يتعداه ، يحرص فيه على اشباع ضروراته وتلبية نداء فطرته ، والارتقاء بالانسان الى الغايات التى ترشحه لها مواهبه وخصائصه ثم يقوم حارسا على الانسان أن يطفى أو يحد ، بوسائل مختلفة فيها العظة والاعتناع ، وفيها كذلك الضوابط والحدود . . فلا يجد الانسان أمامه الا أن يسير فى الطريق المعبد ، دون أن تجره قدماه إلى المآتات . . « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٤) » . .

وهذه الغاية — من بناء الفرد الصالح ورعايته — من أهم غايات المجتمع

الاسلامى التى يشير اليها القرآن الكريم ويوجه اليها انظار المسلمين على كل زمان ..

يقول الله سبحانه :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٥) » ..

وفى هذا إجمال لمقومات الفرد المسلم التى يجب أن تتضح فى صورة المجتمع كله ، من أداء لحق الله سبحانه متمثلاً فى إقامة الصلاة ، وأداء لحق الإنسان متمثلاً فى إيتاء الزكاة ، ورعاية للأهداف الخلقية والاجتماعية متمثلاً فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

والفرد لا يستطيع أن يمثل ذلك كله فى غير المجتمع الاسلامى ، إذ يحال بينه وبين تلك المبادئ الصالحة ، وينساق وراء مجتمعه فى سعيه نحو الأهداف المادية حتى لا يتخلف أو ينقطع ..

فلم يكن بإمكان المسلم فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة أن يكون صورة لتلك المبادئ التى يريدها الله من عباده المؤمنين . ولهذا أشار القرآن الكريم الى أنه لا يطالب المسلمين بتحقيق تلك المبادئ إلا حين يظلمهم لواء التمكين فى الأرض وتجمعهم ساحة المجتمع الذى يمثل مبادئ الاسلام .. « الذين إن مكناهم فى الأرض » ..

ومغزى ذلك أن الإنسان فى المجتمع الاسلامى يكتسب قوة غير قوته حين يعيش وحيداً ذليلاً ، فى مجتمع لا يؤمن بالحق ولا يعمل له ، وتتفتح أمامه سبل للعمل والجهاد ليست له حين يحيا على هامش الحياة لا يشارك ولا يتحمل . والمجتمع الاسلامى يحمل على كاهله أن يأخذ بيد كل فرد الى ما يحسن ، وأن يدفعه الى تركية نفسه قدر ما يستطيع فهو « مجتمع الانسان » بأقصى ما تحمله تلك الكلمة من معان وإيحاءات .

وتبدو بين غايات المجتمع المسلم غاية مضيئة لها قداستها فى كل جيل وقبيل ، تلك هى إقامة الحق ورعاية العدالة بين العالمين .

فما عرفت الدنيا مجتمعاً يبتغى إقامة الحق منزلها وتحقيق العدالة بين الكافة كالمجتمع المسلم .

لقد كان منطق القوة يسود مجتمعات الأرض ، فترعى العدالة لنفسها وتنكرها على سواها ، وتحرص على حقوقها بينما تدوس حقوق الآخرين .

ولكن القرآن كان يرى فى قيام مجتمع يؤمن بالله ويحترم إرادته صيانة للعدالة فى الأرض وانصافاً للخلائق أجمعين .

ولهذا كان الخطاب فى القرآن يتجه الى المؤمنين يذكرهم بتلك الغاية الجليلة المرجوة من مجتمعهم والتى لن يفلح فيها سواه ..

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (٦) » ..

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (٧) » ..

وكان الاتجاه الى تلك الغاية حاسماً صارماً ، لا حيدة عنه ولا هودة فى الاستمسك به .

مما كان يجعل الوحي الإلهي يرقب سعى المجتمع الإسلامى الوليد نحو تلك الغاية ويحمى خطواته إليها ..

فقد نزلت آيات من الكتاب الكريم فى حادثة هينة ، يحدث مثلها الكثير كل يوم فى أنحاء الأرض ، وهى اتهام البرىء ومحاولة المذهب الإغلات ، ولكن القرآن يرى فيها شائبة تحط من قدر العدالة ، وربما جعلت قيم الحق تهتز فى النفوس . « انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائئين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيبا ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيبا ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيفا ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليهما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » ..

فاذا علمت ان المتهم الذى نزلت تلك الآيات فى حرارتها وقوتها تدافع عنه وتبرىء ساحته - كان من اليهود وقد كانوا من الد أعداء الجماعة الإسلامية اتضح لك غاية جليلة من غايات المجتمع الإسلامى ، وهى رفع لواء العدالة فى عالم تسوده الأهواء وتنتشر فيه المظالم ..

وكان ذلك الهدف من بين أهداف المجتمع الإسلامى مقياسا صادقا لاستقامة السير وصواب الهدف فى كل أجيال ذلك المجتمع ..

فما دام الحق والعدل لواء يخفق فى ذلك المجتمع ، فهو على صواب ورشد ، وهو فى هدى ونور ..

أما اذا زاعج المجتمع عن الحق ولم يتحرر العدالة فى بنيانه وفى سلوكه فهو حينئذ منحرف عن القصد جائر عن الطريق ..

وقد كان استمساك المجتمع الإسلامى بتلك الغاية فى العصور الأولى لمجتمع الإسلام يثير الإعجاب فى كل الإنحاء ..

ويبدو ذلك جليا فى معاملة المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن كانوا يخالطونهم .

فقد كانت العدالة المنزهة تتضح فى كل تصرف بين المسلمين وبين غيرهم حتى فى المواقف التى قد يحمى فيها التشفى والانتقام ..

لما فتح المسلمون خيبر أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود فيها على ان لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشئ ..

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعموننى السحت ! والله جئتكم من عند أحب الناس الى :

ولأنتم أبغض الى من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى اياكم وجبى اياه على أن لا أعدل عليكم !!

فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض (٨) !!

ان هذا الإحساس المرفه لم يكن أثر قانون أو دراسة اكتسبها المسلمون ، ولكنه فعل العقيدة الإسلامية وأثر فكرة الإسلام الاجتماعية التى تضع أمام المسلمين تصورا كاملا لغايات الإسلام وأهدافه . وتجعل إقامة العدل فى قمة

الأهداف ..

وكم من شعوب بلغت درجات عالية من العلم والحضارة لكنها لم تتعلم كيف تمسك بميزان العدالة مع الناس جميعا ، غامنت بحقوقها وأهدرت حقوق الآخرين ..



أهداف فذة :

وحين تلقى نظرة تاريخية الى مختلف الاهداف والغايات التى ابتغتها شتى المجتمعات الانسانية قبل المجتمع الاسلامى وبعده ، يتضح لنا حقا أن المجتمع الاسلامى يمتاز عليها جميعا بخصائصه الشاملة ونظره المحيط ونزغته الانسانية المخلصة ..

كانت المجتمعات التى عرفها التاريخ قبل المجتمع الاسلامى شقية بئسة ، يسودها تحكم الفرد واستعلاؤه ، وتضلها نزواته وأهواؤه ، وتدلها مشيئته وأرادته ..

كانت مجالا للصراع يلتهم فيه القوى الضعيف وتستعلن ضراوة الظلم ، وتذوى فيه مشاعر التراحم ويخفت صوت العدل ..

كانت الحروب تستعر من أجل هوى فرد ، وقودها الشعوب المنهكة التى لا تملك أمرها ولا تبصر طريقها ..

وكانت الثروات وقفا على أولى البأس ، لا ترتبط بالعمل ولا ترتكن الى الجهد ..

وكان الناس فى تلك المجتمعات جماعات تتطاحن تهللكها رعى الحياة الدائرة ، لا يملكون من العواطف والمشاعر والآمال ما يخففون به عن أنفسهم وطأة الحياة التى كانت تبدو لهم عبئا ثقيلا لا يقدر عليه الا اولو البأس القادرون على الصراع . لا تجد فى تلك المجتمعات من وضع نصب عينيه المبادئ التى يصلح عليها أمر الانسان أو استهدف الغايات الانسانية الشاملة التى ينبغى أن يتجمع عليها البشر . والتاريخ على ذلك شهيد ..

هؤلاء اليونان .. أقدم البشر عهدا بالفلسفة وأحفلهم بالحكمة والمعرفة لم يستطيعوا أن يقيموا مجتمعا يحقق آمال الانسان أو يصل به إلى الطمأنينة والسعادة ..

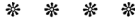
حقا .. لقد حاول فلاسفة اليونان ذلك وذهبوا يضعون للمجتمع ما يرون من الوسائل والغايات ، ولكن الخيال جنح بهم الى آفاق بعيدة ، ولم يكن بمقدورهم ادراك العناصر الكاملة التى تصلح أن تكون واقعا كريما يحيا فى ظلاله البشر ..

فقد تصوروا مدينة غاضلة تقوم على طبقات مختلفة ، وغرقوا بين البشر باعتباريات لا يد لهم فيها ، ولم يسلّموا بمبدأ المساواة بين بنى الانسان ، بل رأوا فى الرق نظاما أمثل يصلح أمر المجتمع .. ونظروا الى المال نظرات قاصرة لا تصل بالمجتمع الى التكافل ، ولا تحل مشكلة الغنى والفقر .

وكناهم أنهم لم يضعوا للحياة المنهج العملى الذى يتلاءم مع واقع الناس ويرعى مصالحهم ..

لذلك لم ينجح الفلاسفة فى بناء المجتمع اليونانى ، فلم يسعد ذلك المجتمع

ولم يسعد غيره ، بل كانت الحروب المستعرة تستهلك المشاعر والموارد ، وتلقى بالناس فى أتون مهين ..
 أما الامبراطورية الرومانية فقد كانت مادية طاغية تتعبد للقوة وتمجد الغالب ولا تقيم للشعوب وزنا ، لم تحفل بالقيم الانسانية ولم يثبت فيها للأخلاق بناء ..
 وقد استمرت قبضتها الظالمة على شعوب كثيرة ، لم تلق منها خيرا ولم تنج من جبروتها وبأسها ، ولم تسعد بالحياة فى ظلالها ، حتى أغل نجبها وتقلص ظلها بعد ضعف ووهن ..



وقد كانت الفترة التى سبقت ظهور الاسلام فترة مظلمة حقا فى تاريخ المجتمع الانسانى ، كانت تلك المجتمعات قد فقدت حق البقاء ولم يعد فى مقدور مجتمع منها هداية الانسان أو اسعاده ..
 كانت المظالم والصراع والفوضى تناب شعوب الأرض ..
 وكانت الدنيا أشبه بغابة واسعة يفترس فيها الأشرار من هم أقل منهم قوة .
 وكانت صلة البشر بعضهم ببعض لا تعود الى حق أو عدل ..
 والشعوب قد خفت صوتها فى مواجهة الطغاة ، لا تجد ملجأ ولا تهتدى لنجى يقىها اليأس والهوان ..
 حتى جاء الانسان ليبدأ فى كتاب الحياة صفحة جديدة ، وليقيم من الأرض مجتمعا مثاليا يصدر عن ارادة الله وينقاد لحكمه ..
 مجتمع فاضل حقا .. اذ يقوم على مبادئ صالحة وحقائق لا تتبدل ولا تختلف ...

مجتمع « عادل » لانه يبتغى انصاف الانسان وحفظ حقوقه ، وتحطيم قبضة الجبابة التى تمسك زمام الشعوب المستضعفة ولانه يطبق شريعة الله التى حكم فيها بين عباده .. « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٩) » ..
 مجتمع رحيم ، لانه يبنى كيانه على أساس أخوة البشر وتكافل الاقوياء والضعفاء ، فلا يجمع بين قطعان متنافرة أو دئاب متناحرة ، بل يستثير فى بنى الانسان ارق وائدى ما تشتمل عليه نفوسهم من مشاعر ، ويجعل من الغايات الروحية التى يلتقى عليها افراده سياجا يجمع بين الناس برباط لا ينفصم : « وآل بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ، ولكن الله آلف بينهم ، انه عزيز حكيم (١٠) » ..



مقارنة :

وحين نبحث عن غايات المجتمعات المعاصرة ندرك أيضا تفوق المجتمع الاسلامى عليها وامتيازه بالمزاوجة بين الروح والمادة ووضعها قيما عليه يحرس على تحقيقها ..
 ان الحضارة الحديثة لا تجعل لمجتمعاتها غاية أكثر من بلوغ افرادها

أقصى غاية المتاع واللذة ..
ولا تحفل بالمشاعر الانسانية والقيم التى ترتفع عن المادة وتستعلى على نطاقها .

وذلك قدر مشترك بين المجتمع الرأسمالى والمادى ، على اختلاف فى الوسائل والبرامج .

ففى الغرب يعيش الناس بلا أهداف ولا قيم ، حيث تتبدل الأخلاق وتتغير الموازين ، وتقفز النفوس من الخير وتشتد حدة الصراع ..
ورغم التقدم فى وسائل الحياة وأساليب المتاع ، فان مضمون الحياة نفسها أو الاحساس بقيمتها فى هبوط واضطراب ..

ولم يستطع ذلك المجتمع رغم الفنى والرفاهية أن يقضى على الفقر ، ويأخذ بأيدي العاجزين أو يخفف عن الناس قسوة الصراع على موارد الحياة .. ذلك لأنه لا ينظر الى الحياة الانسانية النظرة الكاملة ولا يأخذ فى اعتباره حقيقة الانسان .. فهو فى طريقته يصادم الفطرة ويبدل الأصول الثابتة فى حياة الانسان .

ويدلنا على حالة ذلك المجتمع الغربى ما يسوده من أمراض نفسية وخلقية وما يشيع فيه من جريمة وفساد ..

أما المجتمع المادى فى أنحاء الأرض ، رغم ما يسوده من شعارات وما يغيره من حياسة فهو مجتمع شقى بئس !
فما معنى أن يصير الانسان — فى سعيه الى القوت — عبداً للآله ، سجيناً فى قضبان من الرعب والعبودية للبشر ، الذين يوهونه أنهم يحومونه من الاستغلال والظلم !!

ان الانسان فى المجتمع المادى ليس هو الانسان كما خلقه الله !
انه انسان شائه الفطرة ممسوخ التفكير ، فقد حرته وكيانه ، ورضى من حياته بلمحة العيش وعبادة البشر !!

ويكفى أن يقوم كيان ذلك المجتمع على تجاهل الحقيقة الكبرى فى حياة الانسان وهو أنه عبد للخالق العظيم الذى استخلفه فى هذه الأرض واستعمره فيها .. وأن عمارة الانسان للأرض وتفوقه فى استثمار خيراتها ليست الا جزءاً من عمله فى هذا الكون ، وليست هى الغاية الوحيدة من وجوده فى الحياة .



ان الخطة التى رسمها الاسلام لمجتمعه تتميز بسعيها نحو سعادة البشر جميعاً ، فهى لم تصدر عن طبقة ولا فرد ، بل صدرت عن خالق البشر ولم تقم على تجارب قاصرة أو شعارات كاذبة ، بل قامت على مبادئ صادقة تطابق حقائق الأشياء ، وتتفق مع سنن الحياة ..

ولهذا فقد انصف المجتمع المسلم بالاخلاص لحقوق الكافة والمساواة المنزهة بين طوائف الخلق وبالشمول فى النظر للحياة وتحديد أهدافها .. وبالغايات الروحية من وراء النشاط المادى ، وبمتانة الأواصر التى تربط بين الأفراد فى ذلك المجتمع ..

ولقد نجح المجتمع المسلم فيما فشل فيه سواه من قبل ومن بعد ..
لقد قامت فى الأرض بواقعها المادى ومضايقتها ومصاعبها أمة عرفت كيف

تحترم ارادة خالقها وتحيا وفق سننه الصادقة ، وكيف تعيش فى واقعها مرتبطة بقيمتها صادرة من مثلها ، تخضع الحياة لما تؤمن به من مثل وما تبتغيه من غايات ..

ولا يعترضنا صوت ليقطع علينا السبيل فيقول :

اتعنى بذلك تلك الفترة القصيرة التى عاشها الرسول صلوات الله عليه — مع أصحابه فى المدينة ، أو خلافة أبى بكر وعمر ؟

وهل ننسى بعد ذلك ما نشب بين المسلمين من صراع على الحكم وما ساد مجتمعهم من مظالم فى الأموال والحقوق ، وما ارتفع فى مجتمعهم من عصبية ونعرة .. ؟ !!

والحق أن تلك الأخطاء ليست دليلا على فشل النظام الإسلامى أو صعوبة تطبيقه ولكنها أعراض تنتاب الجماعات وأدواء لا بد أن نضعها فى الحسبان ، ولعل انسانية لا بد أن ندبر لها الحلول ، غان الشر دائما يتعقب الخير ليغتاله ورياح الأهواء دائما تهب لتعصف بالمثل والمبادئ ، فى كل جيل وقبيل .

والاسلام قد وضع فى نظمه ما يكفل حراسة مجتمعه وما يحتم على الأمة أن تستيقظ للذود عن أهدافها وصيانة مثلها ، وان تقف بالمرصاد للذناب المتربصة التى تفتال حقوق الأمة وتقتنص أمانيتها ..



وليس يمكن لأحد أن ينكر أن المجتمع الإسلامى قد بقى يؤدى مهمته ويسعى نحو غاياته ويصون مبادئه طيلة القرون الماضية ، بينما كان ما حوله من المجتمعات الأخرى يعبث فى الظلمات ويتخبط فى المآهات ويصطلى بنيران الصراع ويعانى من وطأة المظالم .

ولا زال قائما فى كل بيئة يصح فيها الايمان وتصدق النية لاتباع صراط الله المستقيم ..

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣١ .

(١) سورة آل عمران .

(٢) سورة الحج ..

(٤) سورة الانعام ..

(٥) سورة الحج ..

(٦) سورة المائدة . .

(٧) سورة النساء ..

(٨) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٢٧٨ ..

(٩) سورة المائدة ..

(١٠) سورة الانفال ..

الفتوح الاسلامية

للدكتور : أحمد ابراهيم الشريف

اتجهت الفتوح العربية الاسلامية اول ما اتجهت الى العراق والى الشام ، ومنهما امتدت شرقا وغربا حتى وصلت الى اواسط آسيا من ناحية ، وإلى شاطئ المحيط الاطلسى من ناحية أخرى . وكان لهذا الاتجاه دوافعه ، كما كان له تمهيد سبقه وأدى إليه .

وأهل العراق الأولون من الآشوريين ، وأهل الشام الاصليون من الفينيقيين . ولقد كانت الصحراء المترامية بينهما تحول فى العصور الأولى دون التقتائهما وامتزاجهما ، فان اجتياز الصحراء غير محبب الى أهل الحضر ، وليس فيها من أسباب الحياة ما يجذب اليها .

على أن هذه الصحراء التى لم تجذب اليها الآشوريين من أهل العراق ولا الفينيقيين من أهل الشام فى العصور القديمة ، قد استهوت العرب من أهل البادية ممن يرون الصحراء الطليقة الحرة سحرا ووحيا وحرية وجمالا ، ويرون الحضر قيادا وسجنا وإن تمتع أصحابه بغايات النعيم . ويذكر المؤرخون هجرة العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية الى الشمال ، نتيجة للاضطرابات التى حلت باليمن فى الداخل لإلحاح الأحباش عليها بالغزو من الخارج ، واتخاذ الروم البحر الأحمر طريقا للتجارة ، الأمر الذى شغل الحكومات اليمنية عن الاهتمام بالشئون الداخلية ، كما أضعف مواردها الاقتصادية بعد تقلص التجارة التى كانت ترد من الشرق الهندى ، فأهملت لذلك شئون الإرواء وتهدمت السدود التى كان أهمها سدود مأرب ، فتخربت الاراضى الزراعية وضاق الرزق على السكان . ويذكر المؤرخون أن هذه الهجرة بدأت فى القرن الميلادى الثانى . ومع التسليم بهذه الروايات التى يقول بها المؤرخون ، فلا ريب فى أن قبائل من العرب قد استقرت ببادية الشام وبادية العراق قرونا طويلة من قبل ، متخلفة عن القوافل التى كانت ترد العراق أو الشام للمتاجرة أو للغزو .

وقد أقام العرب الذين نزحوا الى العراق والى الشام على حدود الحضر

فى كل من الدولتين ، ولم يكن مقامهم على الحدود مما اضطرتهم اليه سياسى
 اندولة التى نزلوا بها ، وإنما جذبتهم البادية اليها فلم يستطيعوا مقاومة سحرها
 كما استهواهم الحضر ليكونوا على مقربة منه كى ينالوا رزقهم دون مشقة :
 وذلك شأن البادية فى كل عصر . ومن العجب فى أمر البدوى أنه ، على تعلقه
 بالبادية وحبه إياها وانجذابه اليها كلما بعد عنها ، شديد الإعجاب بالحضر وما
 يحيط به من زروع ونضرة ، وما يبدو على أهله من نعمة ورفاهة عيش . وكان
 ذلك شأن القبائل العربية التى هاجرت الى العراق والى الشام ، على تفاوت
 بينها فى التعلق بالبادية والانجذاب الى الحضر . ومع أن أكثرها نعم بالحضر
 وترغه ، غلقد ظل حرصها جميعا على حياتها العربية شديدا ، كما ظلت العلاقات
 بينها وبين شبه الجزيرة العربية متصلة على مر القرون . ولم تلبث بادية الشام
 وبادية العراق حين استقرت فيهما القبائل العربية التى هاجرت اليها أن صارت
 كأنها قطعة من شبه الجزيرة العربية ، واستطاع الفساسنة — الذين كانوا
 أقوى القبائل فى بادية الشام — أن يقيموا لهم مملكة عرفت بمملكة بنى غسان
 على حدود الشام ، كما أقام اللخميون لهم مملكة فى الحيرة على شواطئ
 الفرات . ولقد كان دأب هؤلاء العرب يومئذ كدأب بنى وطنهم دائما ، يشركون
 الأمة التى يقيمون على حدودها مصيرها ويشاطرونها آمالها . ومن ثم سلّموا
 فى الشام بحكم الروم ، وفى العراق بحكم الفرس . وإنما كان ذلك منهم تسليما
 بالأمم الواقع أكثر مما كان إذعانا لقلب القوة ، ومن أجل ذلك كانت الأوضاع
 السياسية تتغير فى أمرهم تبعا لقوتهم وضعفهم ، وكان لهم أكثر الأمر استقلال
 ذاتى حرصوا عليه ودافعوا عنه .

كان السلطان فى العراق وفى الشام متداول بين الإمبراطوريتين
 الفارسية والرومية ، فكانت فارس تنتزع الشام من الروم أحيانا ونضمه الى
 العراق التابع لها ، وكان الروم يحاولون انتزاع العراق من فارس أحيانا
 ليرضوه الى الشام التابع لهم . وكان العرب الذين نزحوا الى هذه الجهات
 ينضمون فى كثير من الأحيان الى جيش الفرس أو جيش الروم . وأدى ذلك
 الى أن فكرت الدولتان فى اتخاذ هؤلاء الذين نزلوا البادية الممتدة بينهما سدا
 يحول دون اعتداء احدهما على الأخرى ، ليقى الشام خالصا للروم ويبقى
 العراق خالصا للفرس . على أن هذه القبائل العربية انحازت بحكم منازلها
 فى البادية الى أقرب حضر لها ، فانحاز المقيمون على حدود الشام الى الروم ،
 وانحاز المقيمون على حدود العراق الى الفرس ، مع احتفاظهم جميعا
 باستقلالهم الذاتى ، ومعيشتهم البدوية ، وحياتهم العربية الخالصة .

على أن احتفاظهم بهذه الخصائص لم يحل دون تأثرهم بحياة الحضر
 القريب منهم وسياسة الدولة التى يخضع لها هذا الحضر ، بل لقد تغلغل فى
 هذا الحضر من أنس منهم فى نفسه الكفاية لامثال حياة الحضر والاضطلاع
 بأعبائها ، وبلغ من ذلك أن امتد سلطانه وعظم نفوذه .

فأما فى بادية العراق فقد استغل العرب الثورات التى المت ببلاد الفرس
 وتغلب زعماء الطوائف بها واستقلال كل بناحيته ، فدخلوا حوض الفرات
 وأنشأوا لهم على شاطئيه مدينة الأنبار ، ثم أنشأوا الحيرة التى ما لبثت أن
 أصبحت عاصمة لمملكة عربية سيطرت على غرب الفرات بين الأنبار والحيرة
 ثم امتدت شمالا الى أن اتصلت ببادية الشام منذ سنة ٢١٥ م وعلا شأن مملكة
 الحيرة ، وقام ملوكها بدور كبير فى الصراع الذى احتدم بين الفرس والروم .

وفى الوقت الذى كان فيه اللخميون يسيطرون على غرب العراق ، كان أذينة بن السميزع على رأس عرب الشام يقف مترددا بين الفرس والروم فى الصراع الذى قام بين غيليب امبراطور الروم وسابور عاهل الفرس ، وحين مالت الكفة آخر الأمر الى جانب الفرس نهض بقوته العربية فتصدى لهم وهزم جيوشهم وطاردهم الى عاصمتهم المدائن ، وبذلك سمت مكانته عند الروم ، وصار صاحب القدرح المعلى فى محاربة الفرس ، وبعد أذينة حكم أبناؤه ، وكان آخر من تولى من أسرته زوجته زنوبيا أو الزباء ، التى امتد سلطانها حتى ضمت إليها الشام كله ومصر ، واضطرت امبراطورية الروم لكى تهزمها الى أن تنهض اليها بكل قوتها ، وبانتهائها انتهى عهد بنى السميزع بالشام ، وخلفهم على عرب هذه الجهات الفسانيون من أبناء جفنة .

وحين ننظر الى الموقف فى منتصف القرن الثالث الميلادى ، نرى الأمر قد صار فى شرق الشام وغرب العراق الى العرب ، فهؤلاء الذين نزلوا البادية أول ما نزلوها قبائل مهاجرة قد صاروا الى حيث يعتد بهم الروم وتعتد بهم فارس ، وتحرص كلتا الدولتين على ولائهم لها ومناصرتهم إياها ، وتعترف كلتاها لهم بالاستقلال الذاتى تقديرا لشجاعتهما وإقدامهم . ونستطيع أن نقول إن بلاد العرب امتدت من خليج العرب وخليج عدن جنوبا الى الموصل وأرمينية شمالا ، وإن تأثر عرب العراق وعرب الشام بحضارة الفرس وحضارة الروم أكثر مما تأثر بهما سواهم من سائر بقاع شبه الجزيرة .

من ذلك نرى أننا فى حل من أن نقول أن هؤلاء العرب فى العراق والشام كانوا الطلائع الأولى فى التمهيد للفتح العربى وللإمبراطورية الإسلامية . وإن كان ذلك لم يدر بخلد أحد فى ذلك الوقت بطبيعة الحال ، فلم يكن أحد يتصور بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، وما أدى اليه ذلك من وحدة بلاد العرب ، ومن سمو الروح العربية الى حيث سمت . لكن مقام هؤلاء العرب بين الفرات وأودية الشام ، واحتفاظهم بخصائص حياتهم العربية ، واتصالهم بأهلهم وبمن يحيطون بهم فى شبه الجزيرة ، كل ذلك كان مقدمة لما تلاه بعد أربعة قرون من زحف عرب شبه الجزيرة إليهم محاربين ، لتحل الإمبراطورية الإسلامية محل الإمبراطوريتين الفارسية والرومية .

إذا كان عرب العراق قد اتصلوا بالفرس ، وعرب الشام اتصلوا بالروم ، وشاركوا فى الصراع الدائر بينهما كل فى ناحيته ، وتأثروا بحضارتهم بحكم الاتصال بين الطرفين ، فماذا كان موقف عرب العراق من دين الفرس ، وموقف عرب الشام من دين الروم ؟. تأثرت قبائل العراق بالجوسية الفارسية فأقبلت عليها ؟ وتأثرت قبائل الشام بوثنية الرومان ، ثم بالمسيحية بعد ذلك فأقبلت عليها ؟ أم عرض هؤلاء وأولئك عن ديانة الطرفين جميعا ، واحتفظوا بوثنيتهم يبعدونها لتقربهم الى الله زلفى ؟

لقد وجد من عرب العراق من أجادوا الفارسية ، وفقهوا تيارات الفكر الفارسى فى الفن والأدب والدين ، وتبينوا تعاليم زردشت ومثنوية مانى وزندقة مزدك ، ولم يكن ذلك عجا وقد أتاح لهم رغد العيش وترف الحياة أن يتثقفوا وأن يتبلغ بهم ثقافتهم علم ذلك كله ، وعلم ما اتصل بهم من تفكير اليونان وفلسفتهم . وكان شأن عرب الشام كذلك فى اتصالهم بثقافة الروم وأديهم وديتهم ، بل ربما بلغوا شأوا أبعد مما بلغه عرب الحيرة ، لأنهم كانوا أقرب اتصالا بالمدنية اليونانية والرومانية . لكن مع كل ذلك لم يأخذ عرب العراق

بمجوسية الفرس مع اتصالهم بهم وإعجابهم بحضارتهم ، ولم يأخذ عرب الشام بوثنية اليونان أو الرومان ولم يعبدوا آلهتهم . فلما استقرت المسيحية في الإمبراطورية الرومية هوت إليها النفوس العربية في الشام والعراق جميعا . لم يكن الدافع الى اعتناق المسيحية دافعا سياسيا ، فانه اذا جاز أن يقال أن ملوك الفساسنة تنصروا ليرضوا قياصرة الروم ، وأن قبائل الشام تنصرت جريا على المثل القائل « الناس على دين ملوكهم » فإن هذا القول ليس بجائر بالنسبة للقبائل العربية في العراق ، فقد تنصر من قبائل العراق كثيرون كانوا يدينون لملك الحيرة الذي كان يحارب النصرانية حليفا للفرس . وإذن فلا بد من دافع آخر أدى بهذه القبائل لتدين بالنصرانية ، وهذا الدافع متصل بالعقلية العربية وميولها الروحية .

والعقلية العربية بفطرتها بدوية مستقيمة ، تريد الحقيقة في بساطة ، وتقصد إليها في غير التواء ولا تعقيد . ومثوية ماني وزندقة مزدك تستهوي من يعجبهم الحوار ويفرهم الجدل ، وكذلك الأمر في فلسفة اليونان . ولا تميل العقلية العربية الى مثل هذا التعقيد الجدلي . لهذا هوت نفوس العرب الى المسيحية وأخذت بها واطمأنت اليها .

والمسيحية دين سماوى أقر الاسلام صفاء الأول ، فلا عجب أن يكون أخذ العرب بها في الشام والعراق من طلائع التهديد للفتح العربى الاسلامى بعد ذلك .

وفي نهاية القرن السادس الميلادى كانت مملكتا الحيرة وغسان قد بلغتا غاية مجدهما ، وأثبتتا في الصراع الدائر يومئذ قدرة عظيمة على النهوض والتقدم ، الأمر الذى أثار شكوك الفرس والروم تجاههما على السواء ، على الرغم مما قدمناه لكل من الطرفين من خدمات . فلما كسرى أبرويز ملك فارس علم يرض عما بلغ النعمان بن المنذر من سلطان امتد حتى بلغ دجلة ، حيث بنى النعمان مدينة النعمانية على مقربة من المدائن عاصمة كسرى ، ولم يعجبه ما يرغل فيه من نعمة وما يضم بلاطه من فخامة ، فكاد للنعمان حتى حبسه ثم قتله ، ثم قضى على سلطان اللخمين جميعا . وتأثر العرب بمقتل النعمان وحقدوا على كسرى ، وأغاروا على حدوده وتجاراته ، فلما جرد جيشا لتأديبهم التقوا به فهزموه شر هزيمة في معركة ذى قار سنة ٦١٠م ، وقد وافق هذا العام مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عنه أنه قال « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بى » .

وأما الفساسنة فقد غير الروم سياستهم نحوهم ، ودبروا مؤامرة لقتل ملكهم المنذر بن الحارث ، ، ولما فشلت المؤامرة احتال الروم حتى قبضوا عليه ونفوه الى صقلية سنة ٥٨١م ، وكذلك فعلوا بابنه النعمان بن المنذر الفساسنى ، وبذلك وقعت الفوضى على أثر ذلك في بلاد الشام ، الأمر الذى مكن الفرس من الاستيلاء على الشام ، حتى عادت الروم اليه بعد ذلك في عهد هرقل قبل الفتح الاسلامى بسنوات قليلة .

وقد كان غدر الفرس بالحيرة وبالعرب العراق ، وغدر الروم بالفساسنة ، وتذمر العرب في كلتا الناحيتين ، من مبهيدات الفتح العربى بعد ذلك بقليل . وقيل أن ندخل في تفاصيل الفتوح العربية يحسن أن نعرض لمعنى الفتح ومقومات الفتوح وظروفها :

تم على يد النبى صلى الله عليه وسلم توحيد الجزيرة العربية من

الناحيتين الدينية والسياسية ، ثم تدعمت هذه الوحدة وثبتت أركانها على يد أبى بكر الصديق ، بعد قضائه على حركة التمرد التى قامت بها القبائل العربية وعرفت باسم « الردة » ، ولم يكذب على النبى صلى الله عليه وسلم عام وبضعة أشهر حتى دخل العرب فى مرحلة جديدة هى مرحلة الفتوح .

ولفظ « الفتوح » فى المفهوم الإسلامى معناه النصر المؤيد بالعناية الإلهية ، أو النصر الممنوح من لدن الله تعالى . ولا يشترط فى إطلاق لفظ « الفتوح » على النصر أن توجد حرب ، وأبلغ من ذلك دلالة على ما نقول تسمية « صلح الحديبية » فتحا ، وتلك تسمية ثابتة ثباتا مطلقا بسورة الفتوح « انا فتحنا لك فتحا مبينا » مع أن النبى فى هذا العام (٦ هـ) قصد مكة معتبرا ، فمنعته قريش من دخولها ، وظل يلاينها حتى انتهى الأمر بصلح بين الطرفين هو « صلح الحديبية » .

فلفظ « الفتوح » يطلق على كل عمل سياسى إيجابى من شأنه البناء لا الهدم ، ومن شأنه كذلك أن يتوغل فيه الصالح العام . ونظن أن الكلمة إسلامية وانها لم تعرف بهذا المعنى من قبل . وإننا اختار الإسلام هذا اللفظ لأن الله وعد المسلمين إذا صدقوا الإيمان وأخلصوا للدين ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . فكل نصر يحزره المسلمون إنما هو آت من الله ، وهو موافق لإرادته ولما كتبه « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » .

والفتوح ظاهرة من الظواهر التاريخية المطردة ، تحدث كلما توحّد شعب كان منكمكا ، أو كلما نهض شعب وأصلح نفسه بنفسه وأحسن بكيانه . فالفتوح التى عرفت قديما هى فتوح الاسكندر التى جاءت عقب نهضة المقدونيين الحربية وتوحيد الإغريق ، وفتوح الرومان التى جاءت بعد أن بسطت الدولة المدينية التى هى روما - سلطانها على شبه الجزيرة الإيطالية ووحدت بذلك الشعب الرومانى ، وكذلك الحال فى فتوح المغول بعد أن وحدهم جنكيز خان . والفتوح النابليونية التى جاءت بعد أن قام الفرنسيون بالثورة الفرنسية وأصلحوا من حال أنفسهم .

وقد اعتاد المؤرخون أن يردوا مثل هذه الظاهرة ، اما الى حركات تقوم بها الشعوب تحت ضغط شعوب أخرى من ورائها ، فيدفع شعب شعبا حتى تصل قوة الاندفاع الى قلب العالم المتحضر . واما الى إحساس الشعوب المغيرة بقوميّتها وبكيانها ، وبدخول العزة فى قلوب أبنائها ، بحيث يحملهم على الاعتقاد فى أفضليتهم على غيرهم ، وفى حقهم فى أن يحكموا غيرهم من الشعوب . وينضاف الى هذين التفسيرين تفسير ثالث ، وهو أن مراكز الحضارة تنطوى دائما على قوة جذب كبيرة بالنسبة للشعوب الاقل حضارة ، فتنتج هذه الشعوب بفارائها الى العالم المتحضر .

وخروج العرب من جزيرتهم الى المجال الخارجى ، واندفاعهم فى حركة الفتوح ، احدى هذه الظواهر التاريخية ، وينطبق عليها ، من وجهة التفسير العام لحركات التاريخ ، ما ينطبق على غيرها . فالعرب قد تم لهم من الوحدة الدينية والوحدة السياسية ما كان حدثا بالغ الأهمية فى تاريخهم ، فهم لم يالفوا هذه الوحدة فى تاريخهم الطويل ، فلما تحققت لهم الوحدة بقيام الدولة الإسلامية ، وألف الإسلام بين قلوبهم ذهب التنافس الذى كانت تشيره

العصبية القبلية ، وانحى تبعاً لذلك الخلاف ، وحسن التعاون والتعاقد ، شملتهم نهضة قومية أحسوا معها بأنهم أصبحوا خلقاً جديداً ، وتكونت لديهم نزعة جديدة ، فأصبح العربي ينزع للدم العربي والأمة العربية والجنس العربي ويفخر به ، بعد أن كان ينزع من قبل إلى عشيرته وبطنه وقبيلته وحسب .

كل هذا ملاً العرب احساساً بالقومية وأدخل العزة على قلوبهم . وهم حين سمعوا قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » اعتقدوا بأفضليتهم ، وبأن لهم رسالة عليهم أن يؤدوها للعالم من حولهم .

ثم أنه كان طبيعياً — اذا سرنا مع منطق التفسير العام — ان يتجه العرب حين خرجوا من جزيرتهم إلى قلب العالم المتحضر ، ولم يكن يعقل أن يديروا ظهورهم إلى العالم القديم المجيد ، ليدخلوا مجاهل أفريقيا أو يتجهوا إلى الحبشة . وكان ما حدث من اصطدام العرب بالفرس والروم وما أدالوا منهم . وفيلسوف المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون هذا الموقف بقوله : « ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية ، وتفرد الوجهة إلى الحق ، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء ، لان الوجهة واحدة ، والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه . وأهل الدولة التي هم طالبوها — وان كانوا أضعافهم — فأغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل ، فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم ، بل يغلبون عليهم ، ويعالجهم الفناء بما فيهم من الترف والذل . وهكذا كما وقع للعرب صدر الإسلام في الفتوحات » .

هذا من وجهة التفسير العام للحركة العربية ، باعتبارها ظاهرة تاريخية . ولكن لا بد من البحث عن الأسباب المباشرة التي دفعت العرب إلى الانحياز بدولتي ذلك الزمان — الفرس والروم — في وقت واحد . ثم لا بد من تفسير لما تحقق لهم من نصر كامل على هاتين الدولتين الكبيرتين .

وقد رد المؤرخون خروج العرب إلى المجال الخارجي بعد ظهور الإسلام إلى عدة أسباب : —

١ — بعض المؤرخين يرد ذلك إلى جذب الجزيرة العربية ، ورغبة سكانها الذين ازدحموا بهم في البحث لهم عن مخرج في البلاد الغنية المجاورة لهم . ويرى هذا الفريق من المؤرخين أن توسع العرب ما هو الا واحدة من سلسلة الهجرات التي حملت الساميين مرة أخرى إلى بلاد الهلال الخصيب وما وراءه .

٢ — بينما يرد بعض آخر من المؤرخين خروج العرب إلى العراق والشام إلى أن الضرورة السياسية هي التي أملت على الخليفة الأول أبي بكر الصديق أن يدفع القبائل العربية للمجال الخارجي ، للقضاء على روح التمرد لدى هذه القبائل ، بعد أن قضى على حركة الردة ، فيشغلها بعمل خارجي ترضى فيه روح القتال الطبيعية لديها ، ثم ليكون الجهاد وسيلة إلى جعل القبائل المتمردة ترضى بالإسلام وتحرص على مصلحته ، لما ينالها من وراء هذا الجهاد من غنائم كبيرة ..

٣ — بينما يرى فريق ثالث من المؤرخين أن الحماس الديني هو الذي دفع العرب للإصطدام بجيرانهم لينشروا الإسلام بقوة السلاح .

ونحن نرفض هذه التعليقات كلها ، ونرى أن هؤلاء المؤرخين قد جانبهم التوفيق ، وأنهم جانبوا الحق ، أما لخطأ منهجى وقعوا فيه ، وأما لغرض غير خليق بالعلماء وهو النيل من الاسلام بالباطل .

فأما أصحاب الرأى الاول ، فانهم قاسوا الحركة الاسلامية على ما مضى من تاريخ الجزيرة العربية . فهم قد رأوا الجزيرة العربية من قبل مركزا لهجرات تقوم بها القبائل نتيجة لاضطرابات داخلية او عسر اقتصادى . لكن هذه الهجرات العربية لم تكن تدفعا قبليا وغزوا ، وإنما كانت تحركات اطرادية بطيئة ، وكان قصارها حين تصل الى العراق والشام ان تستقر على مشارف البادية . كما لم تكن وراءها دولة تدفع بها وتسوقها . ويختلف الامر عن ذلك فى حركة الفتوح العربية بعد الاسلام ، فلم تكن هذه الفتوح هجرة قبلية مدفوعة بظروف الاضطرابات الداخلية أو بالعسر الاقتصادى ، فان الجزيرة العربية لم تسدها وحدة ولم يستقر بها نظام يربط بين كل قبائلها من قبل كما سادها هذا النظام بعد توحيد العرب بالاسلام ، ثم انها كانت فى أفضل ظروفها الاقتصادية ، نتيجة لسيطرتها على الطريق التجارى الآمن فى ذلك الوقت ، وقيامها بدور الوسيط بين الشرق والغرب لنقل التجارة العالمية ، الامر الذى أنعش اقتصادها ، وأدى الى قيام الاسواق الكبرى بها . تلك الاسواق التى جعلت الاقتصاد المحلى يسهم فى الاقتصاد العالمى من ناحية . ومن ناحية أخرى كانت مجالا لحل المنازعات القبلية وقيام التحالفات الكبرى بين القبائل العربية ، فضلا عن توحيد المفاهيم العربية .

هذا الى أن التحرك العربى كان وراءه دولة تقوم على تنظيمه ودفعه وحشد الطاقات المادية والمعنوية له . ولم يكن تحركا اطراديا بطيئا وإنما كان غزوا سريعا قويا والتحاما عسكريا عنيفا .

وإذا كان العرب قد حملوا معهم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فى حركة الفتوح ، مما يعطى مشابهة بحركة الهجرة ، فان الجيش العربى كان مكونا من رجال القبائل ، والقبائل كانت تجرى على عاداتها فى حروبها من حمل الإبناء والنساء والأموال معها فى حروبها . فالجيش العربى السدى كانت تحارب به الدولة لم يكن جيشا نظاميا كالجيوش التى تستخدمها دول الحضارة ، وإنما كان جيشا تلقائيا قبليا . ولم تحدث الهجرة الا بعد نجاح الفتوح وإقامة القواعد العربية ، وكان التهجير عملا رسميا تقوم به الدولة ، لا على أنه تهجير لذاته ، ولكن لان القبائل هى جيش الدولة ، والدولة تنقل غرور القبائل المتخلفة كأمداد لجيوش الدولة ، فتصبح من قوات الجيوش المربطة فى الامصار .

وأما أصحاب الرأى الثانى ، فان رأيهم مردود بما حدث فعلا ، ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه ، عند تسيير قواته الى العراق والشام ، منع القبائل المردة — وهى القبائل التى قامت بحركة التمرد على حكومة المدينة — من المشاركة فى الغزو ، واقتصر على من ثبت ولاؤه للدولة فى أثناء حركة التمرد . وكان هذا عقابا للمرتدين بحرمانهم من الحرب الى جانب المسلمين ، واشعارهم بالذل والخزى لوقوفهم ضد حركة التوحيد العربى .

وأما الرد على أصحاب الرأى الثالث فهو كامن فى مجرى تاريخ الاسلام كله ، فالاسلام كمبدأ لم يفرض الدين بالاكراه « لا اكراه فى الدين » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هى أحسن » .

وتاريخ الاسلام شاهد على تطبيق هذا المبدأ . لم يخالفه المسلمون مرة واحدة . غالبى صلى الله عليه وسلم قبل يهود المدينة في دولته ، ووضع في الصحيفة وهي دستور الدولة بندا صريحا « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » وحين كاد اليهود للمسلمين واضطر النبي صلى الله عليه وسلم الى محاربتهم في المدينة وفي خيبر ، لم يكره احدا على اسلام ، ولم يقتل الا بنى قريظة نتيجة لارتكابهم جريمة الخيانة العظمى باتصالهم بالعدو ساعة الحرب وترضيهم الدولة للسقوط في غزوة الخندق . وقد اجتمع الى النبي في المدينة وفود من الاديان الكبرى السماوية من اليهود والنصارى ، ناقشوا النبي وجادلوه . ولم يكن موقف النبي منهم الا كما عبر عنه القرآن الكريم « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دى الله فان تولوا فغولوا اشهدوا باننا مسلمون » . وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وابقاهم على دينهم . وضمن لهم سلامة كنائسهم وبيعتهم . وقد جاء في كتابه السدى كتبه لهم « . لنجران وحاشيتها جوار الله . وذمة محمد النبي رسول الله . على انفسهم ، وملتهم ، وارضهم واموالهم ، وغائبهم وشاهدهم . وغيرهم وبيعتهم وملتهم . لا يغير ما كانوا عليه . ولا يغير حق من حقوقهم وملتهم . لا يفتن استغف عن استغفيتها . ولا راهب عن رهبانيتها ، ولا واه (كاهن) من وقايعته . على ما تحت ايديهم من قليل او كثير . . . ولهم على ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبي ايدا . حتى ياتى امر الله ، ما نصحوا واصلحوا فيما عليهم . غير مكفلين شيئا بظلم » .

وكذلك صالح النبي مسدن اليهود كلها : ايلة ، واذرح . وفدك . وتيباء . وكذلك صالح اكيدر صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا . وقد ورد في كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملوك حدير بعد ان جاءت كتبهم تقصر باسلامهم « . . . وانه من اسلم من يهودى او نصراني فان له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، له مثل ما للمسلمين من الحقوق وعليه مثل ما عليهم من الزكاة) . ومن كان على يهوديته او نصرانيتها فانه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية . . » . وكذلك اخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من اهل « هجر » في البحرين وكان منهم مجوس تابعون للفرس : بقوا على دينهم وأدوا الجزية . وتاريخ الخلفاء الراشدين حافل بالمصالحات بين المسلمين واهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك من المجوس . وكتبهم الى قوادهم حافله بالتوجيهات التى تدعو الى الوفاء للناس بعهودهم ، وبحسن معاملتهم ، وبعدم التعرض لاحد لأكراهه على تغيير دينه . ولا يستطيع مؤرخ واحد مهما كانت نزعته ان يثبت حادثة واحدة اكره فيها احد خلفاء المسلمين او عمالهم وولاتهم احدا على الدخول في الاسلام .

وهكذا يتبين لنا بصورة واضحة كيف جانب المؤرخين الصواب حين عللوا لحركة الفتوح الاسلامية . واذا كنا نرفضنا آراءهم فما هو التعليل الصحيح ؟!

وخير وسيلة لمعرفة التعليل الصحيح هو ان نتتبع الحوادث نفسها ، نستعرضها لنخرج منها بالاسباب الحقيقية التى دفعت العرب للخروج من شبه الجزيرة الى المجال الخارجى ، ليغيروا خريطة العالم تغييرا تاما من جميع نواحيها ، السياسية والاجتماعية والدينية .

اللغة العربية والدين الاسلامي

أحاطا افريقيا بهالة

تمهيد :-

العرب محافظة على الاسلام . وعلى صلتها ببلاد العرب مهد الاسلام . ولكن البلاد التي الى شرق العراق وشمال الشام لم تصطبغ بالصبغة العربية ولم تتأهل فيها اللغة العربية أو القومية العربية . أما في افريقيا فقد حافظت البلاد التي كانت للغاتحين العرب على طابعها الاسلامي ، واندمجت كذلك في الوطن العربي والقومية العربية ، إذ هاجر اليها العرب أفواجا وقبائل كما هاجروا الى الشام والعراق ومصر التي هي جزء من افريقيا . وقد تقدم العرب في هذه القارة الواسعة في اتجاهين مختلفين وبأسلوبين مختلفين . ففي الشمال ساروا غربا على محاذة البحر الأبيض المتوسط غزاة فاتحين أولا ، ثم بناء مرشدين ثانيا ، وفي الشرق ساروا تجارا مبشرين على ساحل افريقيا الشرقى . وحملوا مع تجارتهم اللغة العربية والدين الاسلامي ، وتعاون الاسلوبان على احاطة افريقيا بهالة عربية اسلامية

لقد كان للسلاح العربي ايسام بيضاء ، ومعارك غراء ، نشرت راية العروبة والاسلام في قارات العالم القديم الثلاث : آسيا وافريقيا وأوروبا . . وقد امتازت هذه القارات بعضها عن بعض في التأثير بهذا الفتح . فأوروبا ناوت الفتح العربي . وأوقفته عند أطرافها الثلاثة : في الشرق عند استنبول ، وفي الجنوب من سواحل إيطاليا ، وفي المغرب في « سهل تور » غرب فرنسا . . ومحت أوروبا مدنية العرب التي اشادوها جنوب البرانس في الاندلس الخضراء بعد أن عمروها ثمانية قرون ، فأوروبا اقل القارات محافظة على آثار الفتح العربي والحضارة العربية . ولم يبق لنا منها الا آثار الحمراء والزهراء ، وما كان لمدنية الاندلس من أثر في عمارة أوروبا ونهضتها الحديثة . وفي آسيا بقيت جميع البلاد التي أخضعها جيوش



عربية اسلامية

للاستاذ : لطفى ملحم

حروب طويلة ومعارك طاحنة كان ههم انتزاع السيادة البحرية من قرطاجنة لا التوسع فى استعمار افريقيا . ولم يتجاوز الحكم الرومان سواحل هذه القارة ، وبقي سكان البلاد الاصليون من البربر مناوئين للرومان والبيزنطيين ، لم يتأثروا بدينهم وثقافتهم . وهؤلاء البربر قوم رحل مغطورون على حب الحرية والشجاعة وبساطة العيش . فكان لتقارب مزاجهم من مزاج العرب وسيلة لامتزاج الشعبين . ونجح العرب فى اقل من قرن فى الوصول الى ما اخفقت روما فى الوصول اليه فى اكثر من تسعة قرون ، ولا يزال تمسك شمال افريقيا بالعروبة والاسلام شاهدا على ثبات البناء الذى اُسسه عقبة بن نافع المزنى ، وحسان ابن نعمان الغساني .

ولما استولى العرب على مصر ادركوا الخطر الذى يهددهم من وجود الامبراطورية البيزنطية الى الشرق فى برقة والى الشمال فى البحر الذى

نطوقها من زنجبار على المحيط الهندى الى مراکش على المحيط الاطلسى . وصارت اعظم طرق للقوافل فى قلب افريقيا من مصوع الى نيمبكو ، وساحل المحيط . تسير فى قلب بلاد عربية اسلامية ، وتغص بقوافل التجارة العربية ، وحجاج بيت الله الحرام من اقصى غرب افريقيا .

وان افريقيا التى تسمى بالقارة السوداء فان السكان فى اواسطها الى جنوب الصحراء الكبرى هم من الزنوج ، اما سكان الشمال حيث مصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش فمن الهاميين ، وهم من الجنس الابيض لا الاسود . والصحراء تفصل بين الجنسين . وكان العرب المسلمون قد جمعوا بين الجنسين ، الابيض فى الشمال والاسود فى الجنوب بين الصحراء الكبرى ، غاصبت بينهما وحدة دينية وتجارية .

الرومان فى افريقيا :

لما تهر الرومان الفينيقيين بعد

توارى من عرض البحر . أما الجيش العربى والاسطول العربى فتعد وقفا على أبواب امستانبول وكانت قبرص ورودس فى ايدى العرب . وبذلك ختبت سيادة البيزنطيين على شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط ، وانحصر حكمهم فى صقلية وجنوب ايطاليا بالاضافة الى الاناضول والبلقان . وقد انتزع العرب منهم فيما بعد صقلية ، وانتزعوا مدينة بالرمو جنوب نابولى مدة من الزمن .

حسان بن النعمان :

بعد القضاء على سلطان الروم فى افريقيا تفرغ حسان بن النعمان النفسانى للبربر . وكانوا قد تجمعوا حول امرأة مغامرة قوية اجتذبت قلوبهم بها لها من سلطان دينسى ، وعرفت عند العرب باسم « الكاهنة » وكانت هذه قد اعتصمت مع جموعها بالجبال ، فرحل حسان بجيوشه اليها واشتبك معها فى معركة كان النصر فيها خليف البربر . ودارت الدائرة على العرب ، فانهمز حسان الى قابس وكتب الى الخليفة فى دمشق وكان عبد الملك بن مروان . . وقال فى رسالته : « ان امم المغرب كلها بادت امة منهم خلفتها امة » . فورد عليه من الخليفة كتاب يامر به بالكف عن القتال والتراجع الى القيران . فخلا الجو مدة خمس سنوات للكاهنة كانت خلالها سيدة افريقيا بلا منازع . وقد اعملت فى البلاد طولا وعرضا بسد التخريب والتهديم حتى ينس العرب من افريقيا . وكان بين الاسرى العرب الذين وقعوا فى ايدى البربر « خالد بن يزيد » ويقال : ان خالد استطاع ان يكتب حسانا ، وبطلمه على احوال البربر ويستحثه بالسير الى ملاقاتهم . ولكن الكاهنة ارادت ان تخدع حسانا ، فارسلت خالد مع اولادها ليستأمنوا ، وتقدمت بجندھا للقتال ، فقاتلها حسان ، وهزم جنودھا

كانت سيادته للروم . وكان فى الجنوب دولة السنوسيين فى السودان وهى مشايعة للبيزنطيين ، ولهذا سارع عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية الى ارسال حملة السى برقة ، فوقفت هذه الحملة عند حدود طرابلس بعد ان ازالتم سلطة الروم من شمال برقة حيث كانت (سرين) بلدا روميا فى تجارته وثقافته . .

وعبد الله بن ابي السرج عامل الخليفة عثمان رضى الله عنه على مصر هو الذى وطم الحكم العربى فى مصر ، اذ انتزع بالتعاون مع معاوية امير الشام آنذاك سيادة البحر من الروم ، وقام بحملات جريئة فى شمال افريقيا وعقد صلحا مع السنوسيين .

عقبة بن نافع :

اما فتح افريقيا فيما بعد ، فلم يبدأ الا بعد ان أسس عقبة بن نافع عامل معاوية مدينة القيروان فى تونس قرب قرطاجنه وذلك سنة « ٦٧٠ هـ » أى بعد فتح مصر بثلاثين سنة ، ومن هذه القاعدة الامامية تقدم العرب غربا . وبلغ عقبة امواج المحيط الاطلسى ، ولقى حتفه فى حروبه مع البربر فى الجزائر ، ولا يزال قبره محجا للناس فى تلك الربوع وكانت وفاته سنة « ٦٨٣ هـ » . . وبعد ذلك فقد ادرك العرب ان مناواة الروم والبربر فى وقت واحد عدا عن كونه امرا صعبا فانه ليس من حسن السياسة فى شىء . لذلك فقد تفرغوا للروم أولا ، ولم يهتموا باخضاع البربر الا بعد ان كسبوا سيادة البحر من الروم ثم طردوهم من حصونهم فى قرطاجنه . . وقد فتح العرب قرطاجنه سنة « ٦٩٥ هـ » ثم خسروها سنة « ٦٩٧ هـ » ، واعادوا فتحها ثانية سنة « ٦٩٨ هـ » . وفى هذه الاثناء كان الاسطول الرومى قد

من حسان مخضعها ، ويقال : إن عبد الملك أراد أن يعيد حسان إلى أعماله فأبى هذا متأثراً .. أما موسى فهو الذى استغل القوة التى نتجت من تعاون العرب والبربر فى شمال افريقيا ، فقام بحملة فى اسبانيا ، تلك الحملة التى توجت بانتصار كان تاج الانتصارات العربية ..

افريقيا العربية :

لقد تم للعرب توطيد اقدامهم فى شمال افريقيا فى مدة (٧٢ سنة) .. فاجتاز عمرو بن العاص حدود فلسطين إلى العريش فى مصر سنة « ٦٣٩ هـ » ، واجتاز طارق بن زياد المضيق الذى سُمى فيها بعد باسمه ، والفصل بين أوروبا و افريقيا سنة « ٧١١ هـ » . وهذه الفترة ليست بالقليلة ، وقد عمل على اطلاتها إلى هذا الحد نزاع القبائل العربية فيما بينها ، ولكن النتائج التى حصل عليها العرب أعظم من هذا الزمن الذى صرفوه فى إخضاع افريقيا بمراحل . فقد تحولت الأرض الواسعة ما بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسى إلى بلاد عربية دما ولحما ولسانا ودينا ، وأصبح الساحل الجنوبي والشرقى ، ثم الغربى من البحر المتوسط عربياً خالصاً ، إذ انتشرت راية العروبة حول هذا البحر فى شكل الحرف نون (ن) .. طرفه الشرقى فى أضنه ، والغربى فى البرانس بين اسبانيا وفرنسا . وكانت نقطة « ن » النصر هذا صقلية .. وأينا فيها بعد كيف تم اكمال « النون » ، وكيف صار معجبا بوضع النقطة فى وسطه .. ولئن شهد التاريخ للبطولة العربية أياما غراء بصنع هذا (النون) فقد سجل فى أحضان نون العروبة حضارة ومآثر قد زخرت بها البلدان المكونة له من دمشق والقاهرة والقيروان إلى قرطبة وبالرمو .. فنعم ما صنع الاجداد ونعم ما تركوا .

وقتلها ، واستولى بعد ذلك على افريقيا كلها ، واستطاع أن يوطد الحكم العربى فى جميع أنحاء المغرب ، وقد عامل البربر معاملة حسنة إذ ترك لهم استقلالهم الداخلى ، ولم يتدخل فى شؤونهم الخاصة ، وسماوى بينهم وبين العرب ، فاستقرضى بذلك كبرياءهم ولم يجرح كرامتهم . ولتقرب طباعهم من طباع العربى دخلوا فى الاسلام وتزوجوا مع العرب وتعاونوا معهم تصاون الشقيق للشقيق ..

مسلم بن عقبة :

بعد أن استتب الأمن فى افريقيا كثرت هجرة العرب إلى بلاد المغرب ، ولا سيما سكان المدينة بعد ما نزل بهم على يد مسلم بن عقبة قائد حملة يزيد بن معاوية ضد الحجاز وفيها ابن الزبير . فقد التحق جميع من نجا من معركة « الحره » بجند افريقيا . وكثرت كذلك هجرة الخوارج وهم فئة ممتدنة ديمقراطية النزعة . وهؤلاء عملوا على نشر الدين بين قبائل البربر .. وقد اتبعت سياسة عمر بن عبد العزيز رسالته الاسلام فى افريقيا ، تلك السياسة التى كان سداها التسامح ولحمتها تشجيع اعتناق الاسلام بالمساواة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، ولم يجد حسان مخضع افريقيا ثمرة جهاده العظيم فى شمال افريقيا ، إذ كانت أعمال تلك البلاد تابعة لسي مصر ، وكان والى مصر على ذلك العهد عبد العزيز بن مروان ، وكان موسى بن نصير مولى عبد العزيز قد تعرض لغضب الخليفة عبد الملك لاختلاسه أموالاً من بيت المال فى خراسان ، وشفع عبد العزيز لدى عنه المبالغى الناقصة ثم أحضر موسى أخيه الخليفة لموسى مولاه ، ودفعه هذا إلى مصر وولاه على افريقيا بدلا

معاملة المسجونين في الإسلام

للاستاذ ابراهيم محمد الفحام

مقدمة :

يدعى الاجتماعيون الأوروبيون ان الدعوة الى تحسين معاملة المسجونين نشأت اول مرة في انكلترا في القرن الثامن عشر .
وقد قوبلت تلك الدعوة في بدايتها بالسخرية والنفور ، فاستغرقت زمنا طويلا قبل ان تلقى في الاوساط الرسمية من يستمع اليها ، ثم استغرقت زمنا اطول ، قبل ان تحظى في تلك الاوساط بمن يستجيب لها .
وكانت المطالبة بحق المسجون المريض في العلاج ، وحق السليم في الغذاء والكساء المناسبين ، والماوى الصحى ، تبدو غريبة حقا في مجتمعات كانت تنظر الى المذنبين نظرتها الى الوحوش الكاسرة التى لا تستحق الرحمة ، ولا يجدى معها الاصلاح او الترويض . ولو انصف اولئك الادعياء لنسبوا تلك الدعوة لأصحابها الحقيقيين وهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الخلفاء والأئمة ، ولأعادوها الى مصادرها الأولى وهى تعاليم الاسلام ومبادئه .
فلو اننا نتبعنا نشأة السجون ، وانظمة ادارتها ، ومعاملة نزلائها فى الدول الاسلامية الأولى ، لوحدنا ان المسلمين قد سبقوا غيرهم فى اقرار حق المسجونين فى المعاملة الانسانية الكريمة التى تكفى بكف شرهم عن الناس مع علاج نفوسهم لا مجرد تعذيبهم والانتقام منهم .

السجن في زمن النبي وخلفائه الراشدين : —

والراجح أن السجون لم تعرف في زمن النبي ، ولا في زمن خليفته الأول أبي بكر الصديق فقد كان المقصود من الحبس تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء ، سواء كان في بيت أو مسجد ، أو كان بتوكيل نفسه الغريم أو وكيله عليه ، أو ملازمته له . ولهذا سماه النبي أسيراً . ففي سنن أبي داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده . قال : « أنبت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي . فقتل لي : الزمه . ثم قال لي : يا أبا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك » . وفي رواية ابن ماجه « مر بي آخر النهار فقال : يا غصن أسيرك يا أبا بني تميم » .

ونقل ابن الطلاع في كتابه (أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أن الآثار اختلفت هل سجن النبي وأبو بكر أحداً أم لا . فذكر بعضهم أنه لم يكن لهما سجن ولا سجن أحداً . وذكر آخرون أن النبي سجن متهما بالمدينة في تهمة دم وأنه سجن آخر في تهمة أخرى ساعة من نهار ، ثم خلى عن المتهم ، فثبت بذلك أن النبي سجن وأن لم يكن ذلك في سجن متخذ لذلك . ولما انتشرت الرعية في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، ابتاع بهكة داراً من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وخصصها لهذا الغرض فكانت أول سجن في الإسلام .

وقد ثبت عن عمر أنه سجن الحطيئة على الهجو ، وسجن عثمان صابئ بن أبي الحرث ، وكان من لصوص بني تميم وفتاكهم حتى مات في المسجن وكان المسجونون يتولون الإنفاق على أنفسهم من أموالهم ، أو ينفق

عليهم من الصدقات التي كانوا يقتادون لجمعها من الناس . وظل الأمر على ذلك حتى أبطل على ذلك . وأمر بأن ينفق عليهم من بيت مال المسلمين ، وكان يقول في ذلك « يحبس عنهم شرهم . وينفق عليهم من بيت مالهم » .

السجن في العصر الأموي :

واستمر العمل بذلك طوال العصر الأموي .

وقد ابتكر معاوية نظام مراقبة المشبوهين في منازلهم . فأمر بأعداد سجل لتدوين أسماهم . ثم عين زياد بن أبيه جعدا بن قيس لمراقبة نشاطهم . كما قيل أن معاوية كان أول من عين حراساً للسجون .

وكان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز من أشفق الخلفاء على المسجونين وقد كتب إلى عماله يقول (لا تدعن في سجونكم أحداً من المسلمين في وثاق) لا يستطيع أن يصلي قائماً ، ولا تبيت في قيد إلا رجلاً مطالباً بدم ، وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم .

السجن في العصر العباسي :

وفي العصر العباسي كان المسجونون يحبسون أحياناً في دورهم أو في دور بعض الأشخاص الموثوق بهم فلا يقادرونها إلا بأذن ، وقد أمر الرشيد بحبس بعض خصومه العلويين في دار الفضل بن الربيع ، فكان يحسن معاملتهم ويقدم اليهم في كل وجبة مائدة كعادته .

وكانت للرشيد دور أخرى يتخذها سجن لبعض الأشخاص وأشهرها دار السندی بن شاهك . وكانت تلك الدور تتخذ لحبس الخصوم السياسيين . والمذنبين الذين يرجى صلاحهم .

السجن والقوام والجلالوزة — وعم الحراس أو الشرطة — وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من فى السجن ممن تجسرى عليهم الصدقة ، وتكن الأسماء عنده . ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر ، ويقعد ويدعو باسم رجل رجل . ويدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم أطلق وخلق سبيله رد ما يجرى عليه ، ويكون للأجراء عشر دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى ان يجرى عليه « . .

كسوة المسجونين :

ثم نصح ان يمنح الكساء السى المسجونين مرتين فى السنة ، احداها فى الصيف والأخرى فى الشتاء فقال « وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء وفى الصيف قميص وازار ، ويجسرى على النساء مثل ذلك ، وكسوتهم فى الشتاء قميص ومقنعة وازار » .

تشغيل المسجونين :

وكان تشغيل المسجونين معروفا فى ذلك الزمن . وكان يغلب ألا يؤدوا تلك الاعمال لحساب الدولة ، بل كان يسمح لهم بأدائها للارتزاق منها ، أى لحسابهم .

وكان ذلك النظام متبعاً على الأخص فى العصر الطولونى حيث كانت حياة نزلاء السجون تشرب من حياتهم العادية . وكان من أنواع السجن ، ان يؤمر المسجون بأن يلزم داره فلا يغادرها .

وقد طلب الرشيد من القاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى حنيفة أن يحدد الأسس التى ينبغى أن تقوم عليها معاملة المسجونين ، فأعد له دستوراً محكماً ، سبق به دعاة الاحسان الى المسجونين من الأوروبيين بنحو عشرة قرون .

الإنفاق على المسجونين :

وقد أوصى أبو يوسف بأن يجرى على المسجونين الفقراء من الصدقة ، أو من بيت المال وقال « وأحب الى أن يجرى من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته . فانه لا يحل ولا يسع الا ذلك » . .

ويبدو أن بعض الحكام قد أهمل الإنفاق على المسجونين الفقراء قبيل عهد الرشيد فقد أضاف أبو يوسف فى نصيحته اليه « والأسير من أسرى المشركين لا بد ان يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه ، فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو أذنب يترك يموت جوعاً ، وانما حملة على ما صار اليه القضاء أو الجهل » . .

تغذية المسجونين :

ثم حدد أبو يوسف وسائل الإنفاق على تغذية المسجونين ، مع ضمان عدم تسرب ما تقرره الدولة لهم السى ايدى السجائين ، فقال « فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وادمتهم ، وصير ذلك دراهم تجرى عليهم نسي كل شهر ، يدفع ذلك اليهم ، فانك ان أجريت عليهم الخبز ذهب به ولا

الرعاية الصحية : -

وجاء في (اخبار الحكاء) للقطبي انه كان يخصص اطباء لزيارة المرضى بالسجون ، وحمل الادوية والاشربة اليهم .

وقد ذكر ابن اصبهية في كتابه « طبقات الحكاء » نقلا عن ثابت بن سنان :

« اذكر وقد دمع الوزير على بن عيسى بن الجراح الى والدى سنان ابن ثابت ايام تقلده الدواوين من قبل المتندر بالله ، وتدبير الملكة في ايام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الامراض جدا ، وكان والدى اذ ذاك يتسلسل البيمارستانات - اى المستشفيات - ببغداد وغيرها توقيعا يقول (فكرت مد الله في عمرك في امر من الجبوس ، وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء امكانهم ان تنالهم الامراض ، وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ، ولقاء ممن يشاورونهم من الاطباء فيما يعرض لهم . فينبغى ان تفرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم . وتحمل اليهم الادوية والاشربة . ويطوفون في سائر الجبوس ويعالجون فيها المرضى ويزيجون عليهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة . ويتقدم بان تقام لهم المزورات لمن يحتاج اليها منهم) ففعل والدى ذلك طوال ايامه .

دعوة جريئة في ظلمات عهد المماليك : -

وعندما كانت تسوء حال السجون ويحرم نزلاؤها من المعاملة الرحيمة ، التى وضع اصولها الخلفاء والائمة الاول ، كان ينبرى بعض العلماء

للدفاع عنهم ، والاهابة بالحكام ان يتقوا الله فيهم .

ومن العلماء الذين اقتدوا بالامام ابي يوسف في الذود عن المسجونين العلامة تاج الدين عبيد الوهاب السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هجرية اى في عصر المماليك الذى تعددت فيه المظالم واكتظت السجون بالابرياء ، فنصح القائمين بأمرها - في كتابه (معيد النعم ومبيد النقم) - ان يرغقوا بالمسجونين . ويخففوا عنهم عذاب السجن ، والا يمنعوا عن مرضاهم ما قد يكون فيه علاجهم . كشم الرياحين والا يمنعواهم من صلاة الجمعة ، الا اذا منعهم القاضى من ذلك .

والواقع ان السجن وان كان اسلم العقوبات فقد تأول بعضهم قوله تعالى : -

« الا ان يسجن او عذاب اليهم » ان السجن من العقوبات البليغة لانه سبحانه وتعالى قرنه مع العذاب الاليم . وقد عد يوسف عليه السلام الانطلاق من السجن احسانا في قوله « وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن » .

ومن أجل ذلك فقد حرص حكام المسلمين الاول ، ان يتقوا الله في نزلاء السجون وان يخففوا عنهم آلامها قدر الامكان ، فسبقوا حكام أوروبا مئات السنين ، في مضمار الدعوة الى تحسين احوال المسجونين . وحق على كل منصف من مؤرخى هذه الدعوة ان يذكر فضلهم ، وفضل العلماء الذين كانت ترتفع اصواتهم للدفاع عن أولئك البائسين الذين حملهم على ما صاروا اليه - كما قال القاضى ابو يوسف - (القضاء او الجهل) . .



التوريق

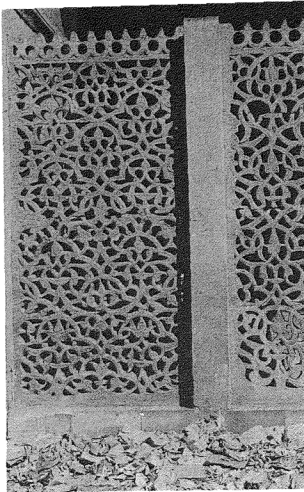
من روائع الفنون الإسلامية

للأستاذ : عبد المجيد وافي

لهم من المتعة السذنية ، والتذوق الفني ما يعوضهم تطلعهم ، ودأبهم وراء المعنى الذي حاولوا فهمه .
وكلمة التوريق -- عبارة اصطلاحية من هذه العبارات -- تداولها المشتغلون بالفنون الإسلامية ، من العرب والمسلمين ، وكذلك من المستعربين والمستشرقين بين أقصى بقعة شوهدها عليها مثال من فنون الاسلام شرقا ، وأقصى مكان في متاحف الغرب الاوروبي والامريكي ، التي عثيت باقتناء الامثلة العديدة ،

كثيرا ما يصادف القارئ غسى موضوعات الفن الاسلامي عبارات اصطلاحية ، يتبادلها المشتغلون بهذه الفنون -- فغيا بينهم -- دون أن يتعرضوا لها بالبيان أو التوضيح ، وذلك لوضوح معناها أو دواغى استعمالها فغيا بينهم .

بينما يتابع تلك العبارات ، غير قليل من القراء بشيء من الجهد ومحاولة تلبية المراد منها ، ولو أنهم وصلوا مما يريدون الى بغيتهم بشيء من البسط والإيضاح ، لكان في ذلك



زخارف التوريق « مفدودة » فى الحجر الرملى
بالتقاسم الجاولية - عصر المايلىك -
بالقاهرة .. تمل قدره الفنان ودقة الحفر
المفرغ وروعة التشكيل .

بل المجموعات الواسعة من نماذج
الفنون الإسلامية المختلفة ، من
أصغر التحف المعدنية أو العاجية ،
وقطع النسيج وشقف الأخزاف .
والأواني الزجاجية ، أو مصنوعات
الذهب والفضة ، إلى أكبر الأحجام
من الأمثلة المبرارية ، من حجارة
وعقود - أنواس البناء الحاملة
للسقوف - ونوافذ الجص المشبكة
.. الخ .. الخ .

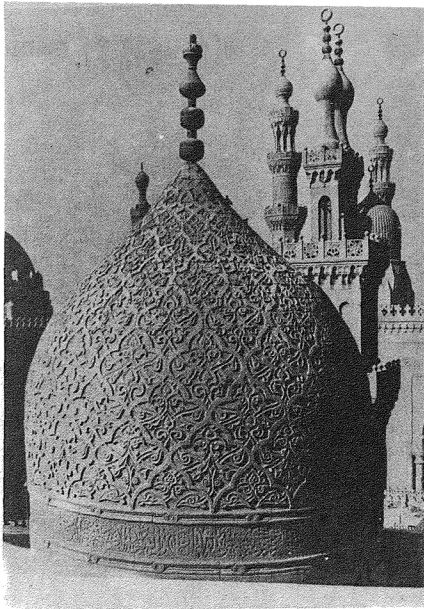
والتوريق ليس كما يبدو لأول وهلة
فى تدبير التمازج ، هو استعمال
الأوراق فى بعض صياغة أو إحاطة
شئ من هذه الصناعات الفنية أو
تلك .

بل التوريق عنصر معين انتشر
استعماله فى تشكيل وتنميق جميع
فروع الفن الإسلامى على الإطلاق ،
وأجاد رسمه وتوزيعه واستعمال
وحداته ، كل مشتغل بفرع من هذه
الفروع ، سواء أكان صانعاً دقيقاً ،
يعمل فى مساحة محدودة كتقلاصة
ظفر ، أو راحة يد ، من المعدن
المنقوش ، أو الورق المكتوب المزق ،
أم حجاراً أم رخاماً أم نجساراً ،
يتناولون الأعمدة أو الواجبهات
المعمارية ، بالزخرفة المدقوقة أو
المحفورة ، أو فى نوافذ الخشب أو
المنابر أو الكراسى وما إلى ذلك .
هذا العنصر هو الزخارف المشبكة
من أوراق النبات المختلفة ، بأساليب
متعددة من الأفراد والمزاوجة ، والتقابل
والتقاطع والتعاقب ، مع تحويل فى
أشكال هذه الأوراق ، قد يصل بها
إلى حد الإغراق فى التجريد بعداً عن
الشكل الأصلى ، أو مقاربة بسين

حركات الأوراق على فروعها أو
أغصانها ، كما لو كانت طبيعية غضة
نضرة فى حديقة أو بستان ، يمثل
الفنانون فى ذلك كله أنواعاً من
نباتات مختلفة ، تشغل بها مساحات
من سطوح الزخارف والتشكيل ، أيا
كان محلها فى جوانب الفن الإسلامى .

.....

أما كيف وفدت هذه التوريقات ، أو
دخلت ساحة الفنون الإسلامية ،
فذلك حديثنا ، ممتداً إلى عمق الجمال
الفنى فى هذا التوريق ، وروعة
توزيعاته ، التى بهرت نقاد الفنون
سابقين ومعاصرين ، حتى صار
الاعتداء بها والاحتذاء لها مذهباً من
مذاهب الفن المعاصر الحديث ، ينسب
إلى الفن الإسلامى أو العربى
ARBESGUS ، ويتهاون على
اقتناء روائحه مفتونون الغربيين ، كما
كان يفعل أجدادهم البنادقة والإنجليز
والفرنسيون ، فى رحاب النهضة
الإسلامية الكبرى .



التوريق الدقيق مع
حساب استدارة القبة
وانسياب التشكيل الى
القبة المديبة .
فى قبة ثانى بناى
الرماح - المصمر
المملوكى بالقاهرة -
حجر رملى .

وماكان الاسلام وعقيدته فسى أول
اندفاعه ، الا فاتحها هاديا مطما .
منقذا من ظلمات الرق الى نسور
الحرية ، يمحو الاستغلال ويحطم
الاغلال ، غلم يكن الفن الذاهب أو
الفن القادم هدفا له ، الا ما كان من
هذه الفنون يحمل صورة من صور
التعبيد لغير الله جل وعلا ، فان تحطيم
مثل هذا الفن كان هدفا من اهداف
الاسلام .

وحسبنا ما فعله رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ،
يوم الفتح من تحطيم الاصنام حول
الكعبة ، ومحو ما كان بداخلها من
صور ، ثم ارساله البعوث لتحطيم
اصنام القبائل فى البادية .
الا أن ماصادف المجتمع الاسلامى
الناسئء ، فى البقاع المفتوحة من



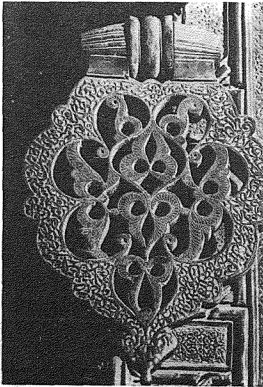
ولقد كان انتشار الاسلام عقيدة
وعملا فى القرن الهجرى الاول ،
يزحف مسرعا ليعطى مساحات
شاسعة تدين بحضارات راسخة
الاقدام فى التطور الصناعى والتقدم
الفنى ، فارس شرقا - واعماق الفن
الفارسى رحية - ، وبيزنطة شمالا
وغربا ، فى سورية ومصر والشمال
الاfricanى ، وفنون بيزنطة ، كانت
مستقلة بالتأثير فى سورية ، الا أنها
كانت تتزاحم فى مصر مع الفن
المصرى ، قبلى وفرعونى ، وفى
الشمال الاfricanى ، مع بقايا الفنون
الفينيقية والاfricanية .

القرآن على عهدى أبى بكر وعثمان
رضى الله عنهما - بالإشراف على
عمارة المسجد النبوى وتوسعته لما
هم عثمان بذلك .

وقد أجمع الرواة على أن عمارة
عثمان بن عفان ، بإشراف زيد بن
ثابت رضى الله تعالى عنهما ، دخل
فيها الحجارة المنقوشة والقصة ، فى
الجدران ، والعمد التى حلت محل
عمد الخشب فى حمل السقف ،
وكذلك كان السقف من خشب الساج
وقد زينه التذهيب (٢) .

وهكذا نرى التأثيرات الفنية قدمت
بنفسها الى المدينة - المجتمع
الإسلامى الأول - ولما ينتضى عهد
الخلفاء الراشدين .

وكان التوريق عنصرا من عناصر
هذه التأثيرات الفنية الوافدة ، ضمن
تأثيرات أخرى ، ولم يكن العمال
القائمون بهذه التجديدات إلا خبراء



التوريق فى النحاس المصبوب بمعرفة باب

المسجد الجامع بالبغداد ١٢٠٦ م .

وتفاصيل التوريق كتابات قرآنية تشكل

بدن الورقة الخارجية .

ميراث فنى وحضارى ، تعود
أصحاب الأرض قبل الفتح ، ثم لم
يجدوا بأسا فى أن يأخذوا بخط منه ،
بعد اعتناق الدين الجديد ، ثم انتقل
هذا الخط الذى أخذوا به معهم فى
بقاع الدولة الواسعة . والسى
عواصمها ، المدينة المنورة ، أو
الكوفة ، أو دمشق أو القيروان ،
ذهابا وإيابا ، كل ذلك قد صبغ الحياة
فى الدولة الإسلامية ، ولما تمتزج المائة
الأولى للهجرة - بلون من الترف
الفنى - محدود أول الأمر ، ثم أخذ
فى الاتساع ، مع قيام الأسس الفنية
المعينة ، التى انتشبت الى لون
جديد من الحضارة ، وانطبعت بطابعه
أصالة ، ودقة ، وعمقا ، ورقعة ،
وقد كانت فى الأصل تنبع من منابع
مختلفة .

ولعل عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ، قد خاف مثل هذه الانعكاسات
الحضارية وتأثيرها على بساطة
المجتمع المذنى . فنبه مؤكدا - عندما
أعاد تعمير المسجد النبوى - وقال
لن كلفه بهذا العمل : لا تصغر ولا
تحمز ، حتى لا تفتن الناس .

والمعروف أن عمر رضى الله تعالى
عنه ، أعاد بناء المسجد بالحجارة
والقصة « الجص » ، بدلا من اللبن ،
وجعل عمده من الخشب بدلا من
جذوع النخل ، وأن لم يغير فى
التخطيط الذى استنه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

وما فعله عمر رضى الله تعالى
عنه ، لم يلتزم به عثمان بن عفان
رضى الله تعالى عنه ، وكلاهما
صاحب لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ، شهدا معه المواقف ،
كما شهد بالجنة لكل منهما رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعثمان رضى الله عنه ، قد كلف
زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه
- كاتب الوحى ، وهو الذى جمع



الحقيقة والتقليد .. أوراق النبات في أرضها ، والتوريق يحفور على تاج عمود مريم من خرائب الزهراء بجانب قرطبة ... والصورة تمثل قدرة الفنان العربي على الاقتباس من روعة صنع الله .

وكانى بهذه التوريقات أصوات المسيحين مترنمين بأسماء الله الحسنى في تبادل صوتى ، بين الخاضعت الهامس ، والقوى ذى الرنين ، والرقيق ذى الجرس المطرب ، والغليظ ذى التردد ، كلما ردد المسبحون متجاورين أو متقابلين ، متأملين فيما يرددون ، أغرقوا في بحر التجرد ، المحفوف بمعانى السمو ، الذى كسته ايساء أسماء العلى التقدير ، تجرد عن المثال وتعالى بنفسه ، وجردته الصفات ، فهو العلى التقدير الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض .

ولقد كانت ورقة العنب « مثلا » ذات الشعب الخمس ، عنصرا استعمله المصريون والسوريون قبل العصر الاسلامى ، فلما تطور المجتمع بعد الدعوة الاسلامية وصيغته حرية



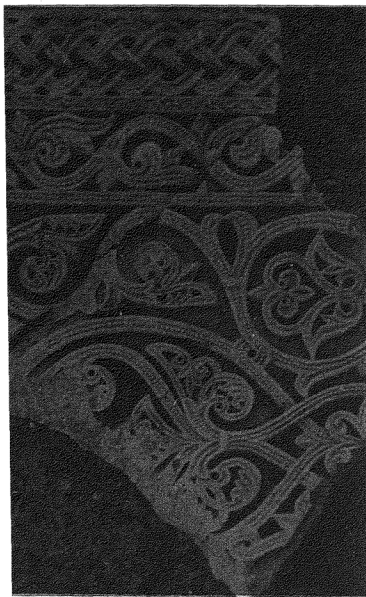
فى هذه الفنون زاولوها بالوراثية أو التعليم ، ذوى حس مرهف أعانهم على تعديل استعمالهم — بعد اعتناق الاسلام — للعناصر الفنية بما لا يخرج عن صريح العقيدة ومضمونها ، والتي ترفض تجسيم المعبودات ، وتهويل جو المعابد .

وأذا كانت تشكيلات التوريق النباتى قد سبقت فى فنون ما قبل الفتح الاسلامى بصورة أو بأخرى ، الا أنها بشهادة غير المسلمين ، ودارسى تاريخ الفنون العربية والاسلامية (٢) قد اتخذت بعد انتشار الدعوة الاسلامية ، وبداية خطها الحضارى سمنا آخر ، أساسه التنوع ، والتتابع ، والتحوير .

لا شك أنها بدأت أول الامر قربية من أشكالها فى الطبيعة ، اقتداء بالانساب السابقة على التأقلم بالاسلام ، لكنها بدأت فى التغير عن أصولها ، مع احتفاظها بعنصر التعبير الجمالى ، والتحوير فى الشكل الاصلى وسيلة الوصول الى ذلك التعبير .

كما أنها بدأت أول الامر متماثلة ، ثم تنوعت ، وبدأت مفردة ثم تتابعت مستكملة بذلك أبعاد الاسلوب الثلاثة ، مشتركة حيناً ، وبمفرد التتابع بالتعبير أحيانا ، كما يفرد التنوع أو التحوير .

ورقة النبات قد تستعمل وحدها ، أو مع ورقة لنبات آخر بالتبادل ، لتوقيع التوازن الموسيقى ، بالتفرغ من خط واحد أو خطين متعانقين ، مستمرة فى شغل فراغ أغريز محدود ، أو مساحة واسعة ، دون ملل لهذا التتابع أو التعانق أو التقاطع أو التقابل .



أوراق العنب مع فروعها حفرها على الحجر
الوردي من خوانب مدينة الزعراء بجوار قرطبة
وتلاحظ دقة الحفر واختلاف المستويات
وتفريغ الوريقات .

والتقليد ، فاعترفوا له بالانفراد
والجدة والتنوع .

.....

ولم تمض المائة الاولى من العصر
الاسلامى ، حتى كان المسلمون
آخذين بأسباب البحث فى كل تراث
سابق للحضارة البشرية ، يعرضونه
على عقيدتهم ، فما استقام معها أخذوا
به ، وما تعارض عدلوا به الى السمت
النسوى والفكر المستقيم مع الفهم
الاسلامى .

المعقدة : فى غطرة نابضة حية نابغة
من غطرة الله ، ارتاحت يد الفنان فى
تنسيقها عبر رسومه وتخطيطاته ،
فخرجت من جهودها وجفافها ،
وخلصت رداءها التقليدى ، وكانت
الفت فى مهب الريح . فانتفتحت مرة
وانكشفت مسرة أخرى . وهشت
أحيانا ، وانتفتحت أخرى ، واعتدلت
أو انحرفت أو انشقت أو انبسطت ،
واستوت أطرافها أو تضرست .
وتشكلت اشكالا غريبة متنوعة حتى
كادت أن تفقد خصائصها مظهرها .
وأصبحت فى بعض اشكالها نسيجا
من صنع الخيال . كالخيوط المتصلة
أو الخروم المتصلة (٤) .

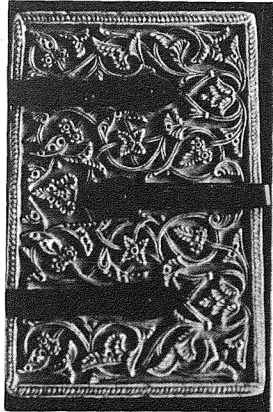
ولم يكن هذا هو حظ ورقة العنب
وحدها . بل شاركها فيسه أوراق
السنوبر أو الكافور أو الصفصاف ،
بسطها المستطيل والطرف الرمحي
المذيب ، بذات أول الامر مستقيمة .
ثم التف طرفها فى انسياب حتى عاد
ملامسا أصلها ثم تصانق به أحيانا
أو تقاطع ، مكونا اشكالا قلبية أو
نجمية فى تناسب مطرد وتقابل
متنرد .

تشكيلات بدیعة ، بعسدت أصلا
وغرعا عن استعمال الفنانين
السابقين ، وغالى اللاحقون فى
التنوع والتعدد بقصد التطريب فى
الشكل ، مغالة تم عن سعة الخيال ،
ورحابة الانق ، مما ينقل الفنان من
مرحلة الاغراق فى الحسن ، الى
السمو فى التأمل ، وبلوغ درجة
عالية من التصوف الفكرى ، والتأمل
فى عظيم صنعة الله بورقة من أوراق
النبات ، تقود العبد فى تأمله الى
عظمة الخالق وعظمة الملك يغفر فى
خضم الملكوت الواسع .

وذلك هو السميت الذى ميز الفن
الاسلامى بصوفيته العميقة ، وبهر
نقاد الفنون سابقين وحاصرين ،
وأفهم الحائدين الذين وسموه بالنقل



وبنفس الحسن المزهف ، انتشرت أساليب التعامل الفني من حدود السند الى شاطئ الأطلسى غربا ، ومن أرمينية شمالا الى المحيط الهندي أو البحر العربي جنوبا .
وساعد اتساع الدولة ، وحريسة الانتقال بين ربوعها في سرعة انتقال العلوم بين أقصاها وأقصاها ، كما ساعد على انتشار تقاليد الفنون وأساليبها ، وكان الحكام والسولا ووجوه البلاد يسمون الى استضافة عالم ، أو اقتناء مؤلف ظهر في المشرق أو في المغرب ، كما كانوا يسمى اليهم

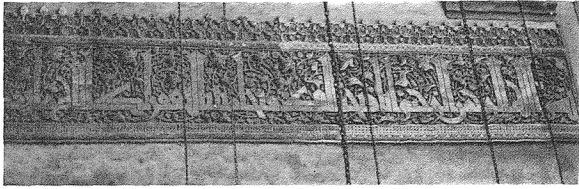


التوريق في الحفر على العاج من العصر الأموي بقرطبة - أسبانيا - ٤٤٠ م .
ملبة مجوهرات لآحد قصور الخلافة ..
وهناك زخارف متطابقة محفورة على المرمر بجوانب محراب المسجد الجامع بقرطبة .

بطرف الفنون وغرائبها ، أو يسمعون هم في طلب صانع مبدع ليختصم بروائعهم ، وبدائع صنائعهم ، كما كانت عوامل الهجرة سياسيا ساعدا في انتقال فنانيين بينهم من قطر الى قطر ، مما نشط الاقتباس وانتقال الأساليب الفنية ، وذلك كجسرة الاسبان الراضيين أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأول - نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث ، وقد استقر بعضهم في الاسكندرية يومئذ ، واستمر الباقون في الهجرة الى جزيرة كريت .
وفرار بعض أفذاذ صناعة النحاس المكنت من الموصول غرارا من وجه التتار أيام الحملة المشهورة واستقرارهم بالقاهرة .

وقد تنوعت أساليب التوريق في الشرق ، وأبدع أهل المغرب الإسلامي فيما نقلوه عن أهل المشرق ، ولا يخطئ الناظر الى الوحدة التشكيلية ان ينسبها الى الفن الإسلامي ، شرقية أو غربية ، وذلك نابع من حقيقة أساسية ، أن وحدة العقيدة كانت عاملا في وحدة الثقافة ، وأساسا لوحدة الفنون ، وأن كان على الباحث المتخصص أن يدرك الفرق السديق بين خصائص صناعة الفنان المشرقي أو المغربي ، وكثيرا ما حار القوم في ذلك لشدة التقارب والتنافس بين أهل تلك الفنون .

وكانت تشكيلات التوريق أول أمرها في سورية ومصر ، مستقلة بفراغها الذي تشغله دون تداخل من عناصر أخرى ، فيما يصنع الحفارون على الحجارة أو الأخشاب ، كل يحاول أن يثبت ليونة مادة صناعته في يده ، فابتكروا الحفر العميق أول الأمر ، ثم ظهر الحفر المائل ، ثم لعبت مستويات الحفر في يد الرخام أو النجار ، حتى قاربت ليونة الأوراق على فروعها وأغصانها ، في نهاية



مركز الكتابة مجامع - مدرسة - السملحان خمس بالقاهرة . .
 « بسم الله الرحمن الرحيم . انا فتحنا لك فتحا مبينا ليؤمن لك الله . . الى آخر الآيات
 كوفي مملوكي انبسط عني خلفية من التوريق الاندلسي .

النطور والتحور . بما يقتضيه المقام
 والمكان . حتى تجاوزت أساليب
 الصناعات . وتحاورت في منافرات غنية
 على صعيد الممارات والمنشآت
 والتحف والطرائف .

ثم اتسع استعمال زخارف
 التوريق ، حتى أصبحت تغطي
 مساحات واسعة ، من المائر أو
 التحف . وتكفي نظرة الى باب معدني
 « نحاسي » من أبواب المدارس
 والمساجد في العصر المملوكي بمصر ،
 أو باب جامع قرطبة الاعظم أو جامع
 اشبيلية ، في أقصى المغرب الاسلامي
 يومئذ ، لترى مساحات التوريق
 الواسعة وقد تشابكت اغصانها
 وتقاطعت فروعها في ليونة عجيبة
 رغم صلابه المعدن .

وواجهات معمارية واسعة غسي
 آسيا الوسطى وما وراء النهر ، قد
 غطتها ترابيع الخزف اللامع ، يشغل
 سطوحها تشكيلات التوريق الملون
 تحت السدهان ، بالازرق أو الاخضر
 والاحمر والذهبي ، في تناسق بديع ،
 بل ان عناصر التوريق في مساحات
 كبيرة من الخزف الازرق في بعض
 المساجد الايرانية والمصرية ، جعلت
 الزوار والسائحين الباحثين عن هذه

العصر الفاطمي بمصر . وكذلك أيام
 الامويين بالاندلس العربي ، بينما
 تناقلت أساليب التشكيل في شمال
 افريقية ، خصائص مصرية وسورية
 حيناً . ثم اندلسية مرة أخرى .

وانتقلت عدوى التوريق الى
 الوراقين واصحاب صناعة الكتب
 واستنسخها ، وبدلاً من ازميل الرخام
 واداة النجار في حفرهما ، قامت
 الفرشاة بتوزيع التوريق مسطحات
 ومساحات على صفحات الكتب ،
 محيطة بالمناوين الرئيسية ، أو
 اغاريز حول الكتابة في الصفحات ،
 مدادها ماء الذهب واللازورد ، ورائع
 الالوان .

ثم يقلد هؤلاء وأولئك ، حفارو
 المعادن ، نقشاً ، وتليسا بالذهب
 والفضة على النحاس احمره
 واصفره ، فلا يقرمون عن اخوانهم
 ابداعاً وتصنيفاً ، في اباريق الماء أو
 الوضوء ، وشعاع الضوء وثيراته .
 ولا يلبث الرخامون والحجارون
 والنجارون ان تصيبهم عدوى التلون
 من مزخرفي الكتب فنرى الجدران
 والسقوف قد اكتست بالالوان
 والتذهيب بهاء على بهاء .
 كل هذا وعصر التوريق لا يكل عن

الأوراق في أسلوب فريد . جمل
أبدان التوريقات نسيجاً من اسم الله
الاعظم . منسجلاً متقابلاً تقابلاً
التسبيح وتسليسه في أعقاب
الصلوات . على السن القائمين
الذاكرين . ما ينسجها انتقلت عيون
الناظرين على الجدران وراء تسلسل
التشكيل التوريقي . تابعت اسم الله
رؤية ولادة وتسبيحاً . جمال أناره
اسم الله وزينه .

.....

هذا كله عندما استقل التوريق
بالتشكيل . لكن المظلة التي بلغت
حد الإعجاز . تتجلى في الجمع بين
عنصر التوريق . والكتابة كوفية أو
نسخية . ولست هنا بصدد الكلام
عن الكتابة . كعنصر من عناصر
التشكيل الفني في فنون الإسلام .
فذلك موضوع آخر يشوق قارنه . كما
يشوق صانعه أو صائغه . ولعل
أعود إليه بتفصيل مناسب إن شاء
الله في عرض آخر .

وإنما حديثي . مستتر عن التوريق
كمستوى من مستويات التشكيل الفني
عندما تداخل مع الكتابة . وقد كان
التوريق وحده يشكل المستوى الواحد
أو أكثر من المستوى في مزالمة
الفسائين الإسلاميين . على تنوع
خاماتهم واللوان صانعهم .

ولقد كان اختلاف المستوى أكثر
وضوحاً في صناعة الرخامين
والنجارين ، حيث يقدر الفنان في
الحجر أو الخشب سطوحاً متتالية
العمق من التشبيك والتوريق يعلو
بعضها بعضاً ، منه في صناعة
المذهب الوراق ، الذي يتحتم عليه أن
يمثل اختلاف الارتفاعات وتداخل
التوريقات بتباين الألوان وتفسير
الأصابع .

الروائع يسالسون عن : المسجد
الأزرق ، وذلك لاشتهار مساجد بعينها
بهذا الاسم في هذه البلاد أو تلك .
وذلك كمسجد الشاه عباس
باصفهان « ١٥/١٦ م ١٠/٩ هـ »
ومسجد آق سنقر « إبراهيم آغا
سستحفظان » بالقاهرة والخزف الملون
الأزرق فيه من سنة ١٠٦٢ هـ -
١٦٥٢ م .

ومن الطرف البديعة بالمتحف
الإسلامي بالقاهرة . بساب مصفح
بالنحاس . قوامه مساحات التوريق
المشايك الجميل . حاول الفنان اظهار
براعته في انفراده بأسلوب جديد .
تحولت فيه التوريقات المشبكة
بالأغصان الى حيوانات صفيرة وطيور
في أوضاع مختلفة متفرعة من
الأغصان كالأوراق والزهور . ذلك
الباب باسم الأمير سنقر الطويل من
أمراء المماليك .

وهكذا صارت عناصر التوريق
أصنافاً تشكيلية في توزيعات الفنون
وتنوعاتها . وأصبح على كل فنان
اتجه الى نوع من هذه الصنائع . أن
يجيد التوريق أولاً كمقدمة لتوقيعه
على النحف والطرف بالآلات والوسائل
المختلفة .

وكثيراً ما شاع توريق ابتكره
مذهب وراق . فنقل عناصره رخام أو
حجار أو نجار . ثم قلدهم خراف أو
صناع الشمعد وثريات الضوء من
النحاس ، صاغيا أو مكفنا بالمذهب
والفضة .

وإذا كانت رحلة التوريق تطول
عبر القرون بتسعين مشرق الإسلام
ومغربه . فإن أروع ما نراه من هذا
التوريق سمو وتصوغاً ، توريقات
الزخارف في قصور الحمراء ،
بقرنطة الأندلس ، حيث برع فنان
الزخارف الجسية في أن يشكل

مع تعدد أشكال الأوراق وتنوعها صلبة أو مخرمة ، آية في رقصة التشكيل والتقابل والتقاطع والابتداء والانفراج .

وقد اشتهرت هذه الفترة من العصر المملوكي بهذا اللون من التوريق . وخاصة السائر التي اقيمت في عصر المنصور قلاوون - ٦٨٢ هـ ١٢٨٤ م . ثم ابنه الناصر محمد . ثم السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون . وكانت كلها عمائر غامرة ، حوت ألوانا من الفنون والمناشع البديعة . واقتبست كثيرا من عناصر اشتهرت بها العمارة الاندلسية ، وأهم هذه العناصر . طرازات الجص المشغول بالتوريق . وطرازات الكتابة النسخية أو الكوفية . ذات الخلفيات المورقة .

وهكذا نعود الى حرية حركة الفنون وعناصرها بين بلاد الاسلام . في المثال الثاني ، فلا تخلو قاعة من قاعات الحمراء منه ، قصائد قالها ابن زمرك الوزير الغرناطي ، في مدح سلاطين بني نصر بن الأحمر ، آخر من حكم في الاندلس عامة . وغرناطة خاصة من ملوك المسلمين .

والكتابة كلها من الخط النسخي المغربي على الوجه الاغلب ، ذي الحروف اللينة والقوائم المستطيلة السائقة ، قريب من النسخ المملوكي مع ليونة أكثر من صاحبه ، والخلفيات هنا أوراق صفصاف تماثلت وانفردت ، وتزاحمت وانفجرت ، وانثنت حيناً ثم اعتدلت ، في تشكيل ذي مستويات ثلاث تحت مستوى الكتابة ، حفرت على الجص في رقة ودقة رائعة ، وزاد من روعتها ما سبق أن ذكرته من تصوف الفنان ، حتى جعل التوريقات سطوحاً مخرمة تخريماً قوامه لفظ الجلالة - اسم الله

أما عندما تشابك التوريق مع حروف الكتابة أو عانقها أو تفرغ عنها ، دون أن يخل ذلك بأشكال الحروف ، ومعاني الكلمات . آية كان ذلك المكتوب أو دعاء أو مديحاً . فذلك مما انفرد به الفن الاسلامي تمام الانفراد . ولقد برز جهد الفنانين في ذلك . من حيث سفيرة مستوى التلوين أو الحفر . لاحداث التوازن والتوافق الموسيقي بين الكتابة وخلفياتها المورقة . وكذلك تباين دقة الحفر في الخلفيات ومسطحات الحروف عريضة أو دقيقة .

ولعل أبرز مثالين أسوقهما في ختام الحديث عن هذا المزاج بين الكتابات والتوريق . مثالان . أحدهما مملوكي . هو طراز سورة الفتح في مسجد أو مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ٧٦٤ هـ - ١٢٦٣ م .

والثاني اندلسي مسنن العصر النصري . هو طراز من ثمر ابن زمرك الوزير الغرناطي على جدران قاعات الحمراء - ٩/٨ هـ - ١٥/١٤ -

أما الاول فطوله ما يقرب من ٤٠ متراً بعرض ٥٠ سم تقريباً بطيف بإيوان القبلة مبتدئاً من اليمين ومنتهياً باليسار ، قوامه آيات من سورة الفتح ، كتبت بخط كوفي مملوكي غير منقوط ، حروفه عريضة طويلة القوائم بسيطة التكوين ، فرشتت على خلفية من التوريق الدائري المتتابع في لا نهائية مطلقة حتى ليظن المتتبع لتسلسله تحت الكتابة ، أنه بدأ مع الاستمادة بالله والبسلة . ولم ينته الامع صدق الله العظيم .

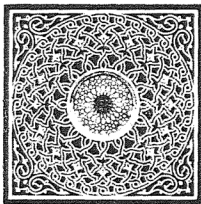
واذا كانت الكتابة تكون السطح أو المستوى العالي ، وخلفها التوريق ، فإنه يكون مستويين تحت الكتابة من المتفرجات الدقيقة والتوريق الرشيق ،

التوريق المخرم ، تسبح أوراقه باسم
الله العظيم .
وأذا كانت الخلافة العثمانية قد
ورثت جزءا من الميراث الاسلامى عنوة
أو اختيارا ، وبالتالي جمعت فنون
المسلمين وفنانينهم ، فإن التوريق ظل
خلف كل جهد لفنان ، فى كتاب من
الجلدة الى الجلدة كما يقول المثل
العامى ، أو أى نوع من أنواع
المشغولات الفنية من نجارة وخزف
ورخام وتطعيم وتكفيت وتلبيس .

وما زال قررة عين كل محب لفن ،
قوامه التصوف والتسبيح لصاحب
الكون رب الابداع من ورقه الشجرة
أو الزهرة الى الجبرات فى كبد
السماء (٥) .

الاعظم - فى تسلسل وتتابع
وانسياب يدل على تمكن فنى فريد ،
أبى الزمن أن يقربه بالفناء ، لاحتوائه
اسم الله ، يسبح به ربه كل من رآه ،
رغم مرور قرون أربعة أو تزيد ، ورغم
هشاشة المادة التى شكلته وهى
الجبص ، ولا شك أن عوامل الصيانة
من قوم أدركوا القيمة الفنية لهذه
الروائع ، يجنون من ورائها الذهب
السائل من أيدى سائحين ، يبلغ
تعدادهم ٣٠ مليونا .

هذا غير جامات الكتابة الكوفية ،
بالعبارة المشهورة هناك « ولا غالب
الا الله » و « الحمد لله على نعمة
الاسلام » فى تراكيب متشابكة
ومضفرة تضفيها رائعا خلفياتها بسط



(١) « الدخلى الى مساجد القاهرة ومدارسها »
للدكتور أحمد فكرى .

(٢) ليس ذلك من سبيل التعبير الانشائى ،
ولكنه اشارة الى عنصر آخر من فنون
الاسلام هو الزخارف والتشكيلات
الهندسية ذات التكوين النجمى ، التى
عجز عن حصرها النقاد والمشتغلون
بالفنون .

(١) « مسالك الابصار » للمبرى ج ١ ص ١٢٥
(٢) « وفاء الولى » للسهمورى ج ١ ص ٣٥٥ ،
فوق البلدان للبلاذرى ص ٦ .

على سبيل المثال لا الحصر
M. S. Dimand : A handbook (٢
of Mohammadan Art.

Metropolitan Museum of art. New-
York P. 69.

Moorish Tpain by Enrique Sordo
P. 139.



والموعظة

تأليف : الأستاذ خالد محمد خالد
عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

ما إن فرغت من قراءة الكتاب الذى نشرته مكتبة الزهراء بالقاهرة كأحدث إنتاج للأستاذ خالد ، حتى تسألت :

أين يتقف الأستاذ خالد اليوم ؟ وإلى أين يتجه ؟

يمكننا أن نعتبر هذا الكتاب لونا جديدا للأستاذ خالد مع شيء من التحفظ ، فقد اتجه فى السنوات الأخيرة الى الدراسات التحليلية لبعض الشخصيات الإسلامية التى لها فى نفوس المسلمين إجلالها ، وفى قلوبهم مكانتها ، وفى أذهانهم قداستها ، قدم لنا : انسانيات محمد — بين يدي عمر — وجساء أبو بكر — فى رحاب على — وداعا عثمان — أبناء الرسول فى كربلاء — معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز ، بالاضافة الى : مسأ على الطريق . محمد والمسيح . ثم رجال حول الرسول .

والكتاب الأخير « رجال حول الرسول » صدر فى خمسة اجزاء فى أحجام كتبه المعروفة . وليست الدراسة فى هذا الكتاب ترجيات وأمية عن النماذج التى اختارها من أصحاب رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما هى دراسة تحليلية عن بعض جوانب العظمة فى اشخاصهم ، وكتابه الأخير : « والوعد الله » الذى بين أيدينا ، هو أيضا دراسة تحليلية ، اختار لها نماذج من رجال التصوف فى مراحل الأولى والمتوسطة .

إن مكتابه الجديد هذا لونه جديد لانه — وحسب — قد اختار نماذجه من صنف جديد من الناس . وهو فى نفس الوقت ليس لونا جديدا من حيث المنهج ، فهو دراسة تحليلية سبق له أن مارسها فى كتبه التى اشترت اليه : « رجال حول الرسول » مع غارق شبه جوهري ، هو أن الأستاذ خالد فى كتابه « رجال حول الرسول » كتب دراسة تحليلية

عن جوانب العظمة فى النماذج التى اختارها . وهذه الجوانب بمثابة مفاتيح لشخصياتهم ، أما فى كتابه الأخير « والموعد الله » فقد كتب دراسة تحليلية أيضا ، لكن عن أحوال نماذج التى اختارها . تكشف عن شغافية أرواحهم ، وصفاء أذهانهم ، ونقاء نفوسهم .. ثم خلاصة فلسفتهم فى الحياة ، وهى فلسفة تنم عن سلبية فى جل ظروفها .
فمن هؤلاء ؟ يقول الأستاذ خالد فى مقدمة كتابه :

« من المؤمنين رجال نعتهم الرسول عليه السلام بأنهم : « أهل الله وخاصته » أولئك الذين تبتلوا لله ، وحملوا بإيمانهم وفى قلوبهم نسور القرآن الكريم . لم يلههم فى طول الدنيا وعرضها شيء عن ذكر الله .. بل نذروا لله حياتهم . وأسلموا إليه وجودهم ، واتخذوه وكيلا » .

وما يريد أن يقول المؤلف فى هذا الكتاب ؟

يقول : إن هذا الكتاب . ليس تاريخا لهم . ولا تقديمًا لسيرهم . إنما هو محاولة لرؤية أفكارهم وفلسفتهم تجاه طائفة من القضايا التى يتساقط بها مصير الإنسان وخلاصه .. ومن خلال الكلمات الفاتحة والمضيئة التى عبروا بها عن أنفسهم . وضمنوها أفكارهم العميق والعريق . نحاول تحقيق الغرض الذى انعمد عليه عزم هذا الكتاب » .

أما هذا الغرض الذى انعمد عليه عزم الكتاب . فقد أوجزه المؤلف فى عبارتين موجزتين ذيل بهما عنوان كتابه :

كيف يفكر أهل الله ؟ وكيف يتحدثون ؟

يرى المؤلف أننا أمام هذا الرعيل الكريم من أهل الله وخاصته . إنما نلتقى منهم وعنهم طرازًا غريداً من التجربة الإنسانية المفعمة بروعة المعاناة . وعظمة الوسيلة . وجلال الغاية . ومهما يكن الخلاف أو يطل الحوار حول منهجهم فهناك حقيقة تفرض نفسها على أولى الالباب الذين يعينهم دوماً أن يعرفوا : تلك هى أن التجربة الروحية السلوكية التى شكلتها حياة أولئك الأبرار ، ليس لها من طراز سواها .. وأن حظها من الصدق حظ غريد . وإنها كانت — وستظل — تحمل من الرؤى ما ليس للروح الإنسانى عنه غنى .. وتحمل من الثراء العلوى ما لا يبدد مائة النفس سواه » .

والاستاذ خالد يصور لنا أحوال أحبابه من أقوالهم . غير مسدع استيعاب كل أقوالهم . أو حتى جاء منها فى هذا الكتاب بالكثير . وإن كان — كما يقول — تتبع الكثير الباهر من أقوالهم فى مصادر شتى ، ثم راح يستلهم هذه الأقوال ما تنطوى عليه من فلسفة وأفكار ، ثم ما تطرحه من قضايا واتجاهات .

وبالطبع لم يضع المؤلف فى اعتباره البحث عن قيمة مصادره الشتى التى التقط منها بعض أقوال القوم ، على الرغم من اعتباره هـذه الأقوال فلسفات وأفكارا ، واتجاهات وقضايا ، فإذا سائرنا المؤلف فى اتجاهه — كان علينا أن نشير — فى إيجاز — الى هذه القضايا التى رآها المؤلف ترجمة عن أفكار القوم وفلسفتهم ، والتى كاد يحصرها فى :

● الله هو الغاية : من أشواقهم إليه يبدأون .. وإلى مثولهم بين يديه ينتهون ، فإذا كان سبحانه « الآخر » الذى يقطعون الأعمار وثبا فى السفر الى رضوانه وجلاله ، فهو أيضا .. « الأول » الذى يبدأون الرحلة

من دعوته ومشيبته ونوحيته . ومن إرادته التي تقول للشيء : كن فيكون . . ومن حوله وقوته الذين لولاهما ما قدر أحد على حركة أو على سكن . . أما متطلبات هذا الطريق فأولها أن يستقط المريد إرادته . فالمشييع الواسطي يقول : « أول مقام ينزله المريد . هو إرادة الحق باستقاط إرادته » ثم التجرد من النفس . فالمخلّي عن النفس أمثل طريق لاستبقاء النفس وإعلانها . ثم الاشتغال بعبود النفس عن عيوب الغير . ثم الواضع حتى لا يكاد المريد يرى لأعماله الصالحات مقاما .

● الوفاء لله : غاية العباداة عند القوم . أنها تمثل أوضح ملامح الإنسانية في الإنسان « الوفاء » والذي لا وفاء له لربه . إنسان ضاعت إنسانيته في زحمة الظلمات .

● العلم والمعرفة : غايل الله لا يعبدون الله اعتباطا . ولا يمارسون العمل الصالح عن جهالة . . لا . بل إنهم ليقدمون المعرفة والعلم والحكمة . ويسعون إليها جميعا . بنفس القدر الذي يقدمون به العباداة والطاعة . لكن العلم عند أهل الله ليس مسألة تحصيل . بل محاولة لرؤية الحقيقة من داخلها . يؤكد القشيري ذلك بقوله : « هناك علم اليقين ، وعين اليقين . وحق اليقين : فعمل اليقين لأرباب العقول . وعين اليقين لأصحاب العلوم . وحق اليقين لأصحاب المعارف » .

● الرهد والورع : هذه النعمة التي أفساء الله بها عليهم . تخصصوا فيها وعرفوا بها . فلقد كان موقفهم من مناعم الحياة : بل . ومن ضرورتها ماثرا العجب . والحديث الطويل من الذين عنوا بدراسة تاريخهم . ولقد بهروا بطريقة استغنائهم عنها . وزهدهم فيها . . ويسترسل المؤلف في هذه القضية فقد وجد مجالا فسيحا في مصادره من كلمات القوم وأحوالهم . ينقل إلينا قول أبي حازم : « ما مضى من الدنيا حلم . . وما بقى منها أمانى » أما مسروق بن عبد الرحمن فقد أخذ ابن أخ له . ومسد به كومة عالية . كان الناس يتخذون منها ملقى لكناستهم وزبالتهم ، ولما ارتبها قال له : ها هي ذى دنياهم تحت أقدامنا : أكلوها فأنفوها ، وليسوها فابلوها . وركبوها فأنضوها . سفكوا من أجلها دماءهم . واستحلوا فيها محارمهم . وقطعوا فيها أرحامهم » . . وأما مالك بن دينار . فطست أدرى أى لون ما فعله من الوان الزهد لا تغد وقع حريق كبير بالبصرة ذات يوم . وعصف الهلع بالناس . لكن مالك بن دينار . أخذ بطرف رداءه ومشى في شوارعها لا يلوى على شيء وهو يقول : « هلك أصحاب الأفتال ! » .

● الجهاد : إن إحساس المؤلف بأن هذه القضية لم تكن لتشغل القوم جعله يقول : « ولقد كان الظن بهؤلاء الذين لاذوا بشعاف الجبال فرارا بأنفسهم من الفتن . أن يحصروا جهادهم في جهاد النفس . . لكن « أهل الله » وقد تحقق لهم « التكامل الديني » على أفضل نسق . لم يكن يفوتهم لله واجب . فهو يراهم نهاذج كاملة بحق . فهم فوق أرض القتال أكثر المقاتلين غبطة بالموت واستبسالا فيه . كما يرى أن أفكارهم وكلماتهم من هذه القضية أفكار وكلمات أبرار . . بلغوا الذروة في حسن الفهم عن الله ، والفهم لدينه .

● الاعتزال لا العزلة : « أهل الله » لم يعرفوا العزلة ، لانها موقف جانح يحمل صاحبه على الانسلاخ من الجماعة ، وانما عسروا — غقط — الاعتزال ، فهو نوع من المراجعة ، يراجع المرء بها نفسه ، والناس الذين يصحبهم ويميش بينهم ، فمراجعة نفسه يعتزل ما يقترب من خطيئة أو غتور عن الطاعة . ومراجعة الناس ، يعتزل منهم الفاسد ، وكل من لا يكون عوناً له على العبادة والخير .

● واخيراً : الموعد الله : كما بدأت مسيرتهم من الله ، ينتهى مسراهم ومعرажهم اليه سبحانه . ويذكر المؤلف أنه لو أراد تلخيص حياتهم ومنهجهم فى عبارة واحدة لكانت « التجرد لله » وهذا التجرد لله ، والفناء فى جلالة ، هو عندهم « جوهر الحرية » لانهما : — التجرد والفناء — يعنيان أن صاحبهما لم يعد رقيقاً لشيء من اشياء الحياة وعلاقتها ، وأنه قد صار كما يقولون : « فرداً .. لفرد » .. هو ، والله .. فأى سيادة هذه ، وأى جلال ؟؟ إن هذا التجرد يعنى عند « أهل الله » أن الشخصية الباطنة للتجرد قد اتصلت بخطوط مباشرة مع الملاً الأعلى . بعد أن حققت أعلى درجات الانتصار فى حياة السريرة والضمير ، ويسوق المؤلف إلينا كلمات « بشر الحافى » : « من أراد أن يذوق طعم الحرية ، ويستريح من العبودية ، فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى » وهذا هو التجرد لدى المؤلف ، والذي هو بدوره الالتزام الأساسى للسائرين الى الله .. وهو ليس ترغاً روحياً .. بل غريضة محكمة ، لانه التعبير الصحيح عن توحيد الله .. بل إن المؤلف يذهب بالتجرد لدى القوم الى مدى آخر متجاوزاً شبه المنطقى المقبول ، فلا يقف بالتجرد عند حدود تجريد النفس عن رؤية الأغيار كافة ، بل تجريد النفس من رؤية ذاتها حتى وهى فى أبهى فضائلها ، حتى تصل الى حقيقة التوحيد وليابه ، وآية ذلك التجرد ماثلة فيما يقول ابو عبد الله القرشى : « الا يبقى لك منك شيء » وآيته كذلك ، تعرية كل قوى الحياة من طاقاتها المستعارة ، والرجوع بفاعلية الأسباب الى مصدرها الحق سبحانه وتعالى .

ولست ادري كيف يهضم الإنسان ما استشهد به المؤلف من كلمات « ميمون بن مهران » :

« يقول أحدهم : اجلس فى بيتك .. وأغلق عليك بابك ، وانظر هل بأتبك رزقك » ؟ نعم والله ، ليأتينه رزقه ، ولو أغلق عليه بابه ، وأرخص ستره ، إذا كان معه مثل يقين « مريم » و « ابراهيم » عليهما السلام » .

ولا كيف يستسيغ بعضاً مما ورد فى كتاب الاستاذ خالد من اتجاهات سلوكية للمتصوفة — أو بمعنى أدق — لكثير منهم ، وبخاصة فيما يتصل باضطهاد الحياة ، فإذا أردنا تطبيق ذلك على عهد اصحاب رسول الله — صلوات الله عليه ، خرجنا بإحدى نتيجتين لا ثالث لهما : إما أن يكون هؤلاء المتصوفة أكثر فهماً لروح الشريعة ، وإما أن يكون الله قد خصهم بدرجة لم يخص بها اصحاب رسول الله فى مجال الايمان والمعرفة .

لقد حاول الاستاذ خالد أن يضفى على القوم الصوفية قيماً دون أن يراعى مدى مطابقتها لواقعى الاسلام تجاه الحياة ، وقد استطاع بلباقته أن يجنب كتابه كثيراً من الشطط الذى سائر سلوك عديد من القوم ، وهذا

الشطط غصت به نفس المصادر التي التقط منها الكلمات والملوك معا .
ليس معنى هذا أن ننكر أقدار الرعيل الأول من الصوفية قبل أن تشوبها
أفكار دخيلة وانطباعات ذاتية غريبة لا تقرأها روح الشريعة ، وانما
المقصود أن تكون دراستنا للتصوف سلوكا وأقوالا تتميز بشيء من التجرد ،
فالاستاذ خالد حول سلوك القوم وأقوالهم الى قضايا وفلسفات — لا اظن
انها كانت تدور بخلد القوم . أو تسيطر على أذهانهم .

تقول كتب القوم : إن ابراهيم بن ادهم — وهو من اعلامهم — عزم
على أن يحج لله ماشيا . وأن يصلى بين كل خطوتين ركعتين لله . وقطع
في رحلته أربعين عاما من حياته . كما تقول هذه الكتب أيضا : إن القلانيس
تزوج ، وبقيت زوجته في عسمته ثلاثين عاما . ثم مات عنها وهي لا تزال
بكرا .. لأن العبادة قد شغلته عنها .

وتذكر كتب القوم على لسان الحصري : أن الصوفي عنده هو
الذي لا تظله الأرض ولا تظله السماء .. « وعلى لسان الشبلى من أصحاب
الجنيد : أن التصوف . هو العصمة عن رؤية الكون » وعلى لسان سهل
التستري : « أن الصوفي من يرى دمه هذرا . ومملكه مباحا » وعلى لسان
أبي سهل الصعلوكي : « أن التصوف هو الإعراض عن الاعتراض » .

أما سلوك القوم كما ترونها كتبهم فلها العجب ، هذا الجنيد « سيد
الطائفة » كما قيل ، يطلب التين . ولم يكذب يضع واحدة في فمه حتى يلتقيها
ويأخذ في البكاء ، فقد هتف به هاتف : أما تستحي .. تركته من أجل ثم
تعود إليه ؟؟ بل يروى عن الجنيد أنه كان يدخل كل يوم حانوته ، ويسبل
الستر ، ويصلى أربعمئة ركعة .. ثم يعود الى بيته .. بل إن الجنيد
كان يحقر عمله إزاء عمل السرى السقطي ، فيقول : « ما رأيت أعبد من
« السرى » أنت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة
الموت .. !

.....

وبعد — فقد كان الهدف من كتاب الاستاذ خالد أن يقدم نماذج من
القوم طيبة ، ويبرز محامدها كما تصورها هو ، محاولا أن يؤكد منها
اثنين كانا قلقين في تاريخ القوم ، هما الاشتغال بالعلم وبالجهد ، ثم
يدفع عن نماذجه شبهة العزلة عن الحياة ، والاستاذ خالد سار على
مناهج الذين سبقوه الى الكتابة عن القوم ممن يحسنون الظن بهم ،
وهؤلاء — كما يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه « نشأة التصوف »
سمحت لهم طبيعة التصوف أن يضعوا من المناهج ، ويرسموا من الطرق
ما يسمح به تفكيرهم ، وما تتسع له مداركهم ، ونسمو إليه أشواقهم ،
لأن منهج التصوف منهج متصل بعالم الروح الذي لا تضبطه حدود » .
وعلى الرغم من أن المؤلف قد أمتعنا بجولة روحية على صفحات
مؤلفه ، لكن يبقى للقارئ أن يتساءل : أهى مرحلة نفسية انتقالية وقد
يتسائل قارئ آخر :

.. أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ .. بل الى أين يسير ؟؟

نصيحة ذهبية إلى مفكري الغرب وزعمائه

للأستاذ محمود مهدي استانبولي

أيها الغربي ، أخى فى الإنسانية .
تحيات طيبة أبعث بها إليك من الشرق الجميل ، من بلاد العرب ، نبع
النور والحكمة .
أتمنى أن تسبح لى ما دمت أخى فى الإنسانية — أن أقدم لك أعظم هدية
ثمينة ، فيها سعادتك وسعادة قومك ، بل وسعادة البشرية جمعاء ، بل خلاصها
من كل ما تعنيه من قلق واضطراب وفوضى .
أذكر — يا أخى فى الإنسانية — أن جزيرة العرب كانت تتخبط قبل أربعة
عشر قرناً باضلال ، والانتحاط ، والفساد ، والظلام ، فحدثت حادثة عظيمة
استباحت بسرعة عجيبة أن تجعل من العرب خير أمة أخرجت للناس ، فسبغت
بأخلاقهم ووجدت كلمتهم ، وجعلت منهم هداه مبدئين انطلقت بهم فى مسادين
العلم والمدنية ، فخرجوا الى العالم يتقنون من ظلمات الوثنية ، والجهل .
فأسسوا أعظم حضارة عرفها التاريخ ، كانت سببا فى إنقاذ البشرية كلها
من ظلمات الجهل ، والظلم ، شهادة مؤرخى وعلماء الغرب المنصفين الذين راحوا
يطلقون عليها اسم « المعجزة العربية » وهى ظاهرة تاريخية عجيبة تستحق
الدراسة للإفادة منها ! ..

إن هذه الهدية هى : الإسلام !
ولا شك أنه بلغك عن هذا الدين الأخبار الكثيرة ، ولكن أغلبها مشوه
وكاذب : شوهه أناس لا يخافون الله ، قد ماتت ضمائرهم ، غابتهم تضليل
الأرباب ، تبقى لهم امتيازاتهم ويتسنى لهم امتصاص أموال الناس بالباطل .

كُتبت إلى " بعض الجمعيات الإسلامية في ديار الغرب ، تطلب مني أن اكتب لها رسالة في بيان مزايا الإسلام وحاجة الغرب اليه ، وترجمها إلى اللغات الأجنبية وترسلها إلى مفكرى الغرب وعلمائه وزعمائه في مختلف المناسبات تدعوهم فيها للإسلام ، وذلك بنسأ على اقتراح لى أرسلته إليها .

واشترطت على الإيجاز فسارعت إلى تلبية الطلب ، وكتبت لها الرسالة التالية ، آملا أن يتبناها من يقدر على تنفيذها ، وتعديل ما يراه ضروريا ، والله سبحانه نسال أن يتولانا بعنايته وتوفيقه .

إن هؤلاء الأشرار يحبون أن يبقى العالم في شقائه . فيسمون جهنمهم لتشيوبه حقيقة الإسلام ، ليظهروه بمظهر سيئ مختلف وسائل الدعاية الكاذبة ، لتنفير الناس منه ، وليبقوا في ظلام دامس ، وشقاء مستمر ، مثلهم في ذلك مثل اللص يحاول - أول ما يحاول - إطفاء المصباح لتسهيل عليه السرقة ! إن هذا المصباح المضيء ، هو الإسلام الذي أضاء نوره العالم قبل أربعة عشر قرنا ، فهم يحبون ضياءه بمختلف الخيل والأساليب ، ويخوفون جماعاتهم حتى من قراءة صفحة عنه ، لأنهم يعلمون أن حقيقته وعظمته ستجذبهم إليه فيدخلون في دين الله أفواجا .

ليست غايى الدعاية للإسلام ، إنها غايى الأولى هدايتك إلى طريق الحق ، وإيقاظك من الضلال ، ومن الفراغ السحيق الذى تمأنيه البشرية كلها بسبب النظم المادية التى تعكر حياتها ، وتهدد العالم بحرب هيدروجينية مدمرة نتيجة تركها للإسلام : شريعة الله !

وأهم ما ينبغي أن ألقت نظرك إليه أنك إذا دخلت الإسلام ، فلا تكون قد تركت ديانة المسيح عليه الصلاة والسلام .

اندا ! إن الإسلام امتداد للمسيحية الصحيحة ، وإتمام لها ، كما أن المسيحية إتمام لشريعة موسى عليه السلام ، هكذا أعلن المسيح عليه السلام في قوله : « إبنى ما جئت لأتقضى الناموس ، بل جئت لأتم » وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « إنيما بعثت لأتم مكارم الأخلاق » . قال لوزارون (النفس يأسنت سلفا) معترفا بأن الإسلام هو الدين

المسيحي محسنا ومحورا ، ونصح قومه الذين يلتصون دينهم المفقود ان يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة .

إنجيل يوحنا (١٤ ، ٢٤ ، ٢٥) ، إنجيل مرقس (١٢ ، ٢٨) ، إنجيل مرقس (١٣ ، ٣٢) ، إنجيل متى (٢٠ ، ٢) ، إنجيل متى (١١ ، ١١) ، إنجيل يوحنا (١٧ ، ٣) ، إنجيل متى (٢١ ، ١١) ، إنجيل يوحنا (٨ ، ٤) ، إنجيل يوحنا (٦ ، ١٤) ، إنجيل يوحنا (٥ ، ٨) .

اجل راجع هذه الفقرات وفى مقدمتها ما جاء فى (إنجيل مرقس ٢ ، ٣٣) حيث يقول المسيح : « الحق قلت : لأن الله واحد ، وليس سواه » ! تجد توحيد الإله الذى جاء به الإسلام واضحا فى الأناجيل نفسها — كما هو واضح فى التوراة — مما لا يدع مجالا للشك فى أن الله سبحانه واحد لا شريك له ، الأحد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد ، وإن المسيح عنده ورسوله .

وراجع الفقرات التالية أيضا من إنجيل يوحنا ، ومثلها كثير فى توراة يوحنا : ٢٦٠١٥ ، ويوحنا : ١٣٠١٢٠١٦ ، يوحنا : ٢٢٠١٥ ، يوحنا ١٨٠١٦ .

اجل راجع هذه الفقرات وفى مقدمتها : « إن كنتم تحبوننى ، فاحفظوا وصاياى ، وأنا اطلب من الأب فيعطىكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد — أى خاتم الانبياء — وروح الحق الذى لن يطبق العالم ان يقبله ، لانه ليس يراه ولا يعرفه . وانتم تعرفونه ، لانه مقيم عندهم وهو ثابت بينكم » لانه مذكور فى التوراة ، والإنجيل والفارقليط « (٢) . روح القدس الذى يرسله الأب باسمى هو يعلمكم كل شئ ، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم . والآن قد قلت لكم قبل ان يكون حتى تؤمنوا ! » . أى تؤمنوا بالنبى محمد وتدخلوا فى دينه (يوحنا : ١٤ — ١٥) وما بعدها ..

بشارات التوراة بمجىء الرسول محمد :

فى التوراة عدد كثير من البشارات بمجىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فعلى طالب الحقيقة مراجعتها فى الإصحاح (١٨ — والفقرة ٢٠) من سفر التثنية ، والإصحاح (٣٢ : والفقرة ٢١) والإصحاح (١٧ والفقرة ٢٠) من سفر الاستثناء ، والإصحاح (٤٩ ، الفقرة العاشرة) من سفر التكوين . والإصحاح (٤٢) من كد ، أشعيا ، والإصحاح الرابع والخمسين من كتاب أشعيا . والباب الثانى من كتاب دانيال والفقرة ٣١ ، وجاء فى أشعيا الإصحاح ٦٠ والفقرة ٧-١٠ اجل فى التوراة بشارات كثيرة ، وفى مقدمتها ما جاء فى الإصحاح الثالث والثلاثين قوله « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنسنا من ساعير ، وتسلالا من جبل فاران » وفى الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ بالإضافة الى ما سبق « ومعه الوف الأطهار » .

فمجيئته من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل للمسيح . وتلاؤه من جبل فاران إنزاله القرآن على الرسول محمد . ويمكن ان نستدل على أن فاران هى الحجاز بما جاء فى التوراة على أن هاجر زوجة ابراهيم وأم اسماعيل سافر بها زوجها وأسكنها بركة فاران . ومما هو ثابت فى التاريخ أن هذه الهجرة كانت الى الحجاز ، وقاموس الكتاب المقدس نفسه ، يسر فاران : بالحجاز .

وقوله « ومعه الوف الأطهار » يقصد صحابة الرسول محمد الذين رباهم

كانوا أمثال الطهر والأخلاق المثالية والجيل المثالي العظيم .
لقد بشرت التوراة والإنجيل بمجيء نبي بعد المسيح (عليه السلام) الذى
ذكر قاعدة لتتميز الرسول محمد عن الأنبياء الكذبة فقال : « من ثمارهم تعرفونهم »
وهل اعظم من الآثار التى جاء بها النبي محمد من عند ربه !!

وفى مقدمتها : القرآن العظيم الذى لا يزال معجزته الخالدة على مر العصور ،
وتد تحدى الله سبحانه البشر أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا فيه عيبا أو مخالفة
للدعيات العلمية الثابتة بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزوله ، ولم يقتصر الامر
على ذلك ، فإن فى هذا القرآن عددا كثيرا من الآيات التى سبقت العلم ، مما
لا يدع مجالا للشك انه من عند الله ، بينما جاء فى كتب بعض الأديان الأخرى
من الهازل والسخافات والمناقضات للعلم الشئ الكثير !

هذا وفقرة « من ثمارهم تعرفونهم » التى وردت فى الإنجيل ، وقد مر
ذكرها ، فإنها علاوة على إثباتها إلى ما سبق . فإنها تدل أيضا على وعيد
السيد المسيح بمجيء الرسول محمد ، وأن اليهود ، والنصارى ، كانوا
ينتظرون مجيء هذا النبي .

إن اليهود المعاصرين للمسيح كانوا منتظرين نبيا آخر مبشرا به ، وكان
هذا المبشر عندهم غير المسيح ، بدليل أنهم سألوا يوحنا قائلين : أنت المسيح ؟
ولما أنكر سألوه أنت إيليا ؟ ولما أنكر . سألوه : أنت النبي المنتظر الذى أخبر
به موسى . مما يدل على أن النبي محمدا كان منتظرا مثل المسيح وإيليا .
ولكن لعن الله المحرغين والمضللين الذين يخفون الحقيقة !!

إنك تتأكد مما سبق أن السيد المسيح قد أخبر وبشر بمجيء الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم بصورة صريحة لا تدع مجالا للشك ، وحض على اتباعه ،
وسرعة الإيمان به ، والدخول فى دينه .

فما عليك إلا أن تؤمن به وتدخل فى دين الإسلام .
وأذكر بهذه المناسبة أن الإسلام قد أشاد بعظمة المسيح ، ورفع من شأنه ،
وأمر المسلمين بالإيمان به ، وأثنى على أمه مريم الصديقة ، فى آيات .

إن البشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام ، بعدما أفلست جميع تشريعاتها
ومذاهبها .

إن الإسلام تادر على حل جميع مشكلات الغرب ، بل مشكلات العالم
بأسلوب طبيعى ، وإنقاذه من القلق والفوضى والهلاك الذى يهدده ، بسبب
مذاهبه المنحرفة ، التى سببت النزاع بين جماعته ، ذلك النزاع الذى يوشك أن
يتحول إلى حرب هيدروجينية تعرض العالم والحضارة إلى الفناء .

إن الإسلام يرسم للعالم طريق السعادة الحقيقية ، ويقدم له الحلول
السريعة لمشكلاته كما اعترف بذلك كبار الساسة ، والعلماء ، والمؤرخين المنصفين
فى الغرب والشرق .

القوانين الطبيعية والتشريع السماوى :

أذكر - يا أخى فى الإنسانية - أن الله العظيم قد وضع فى هذا الكون
لتنظيم العلاقة بين البشر والطبيعة قوانين مادية ، فلا بد للإنسان من الخضوع
لها إذا أراد أن يستفيد من الطبيعة ، وإذا خالف هذه القوانين عرض حياته
للشقاء والانحطاط .

واذكر إلى جانب ذلك أن الله — سبحانه — وضع أيضاً قوانين تشريعية لتنظيم العلاقة بين البشر بعضهم ببعض ، وهى ما تسمى الدين — فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يعيش سعيداً راقياً فى حياته . وإذا خالف هذه التشريعات عرض حياته للشقاء والهلاك .

وما تعانيه البشرية اليوم من غوضى ، وانحلال ، وحروب ، وغساد ، ما هو النتيجة مخالفتها للتشريعات الإسلامية الإلهية ، واعتمادها على تشريعات وضعية كانت سبباً فى شتائها ، فكما أن الإنسان لا يقدر أن يعدل قوانين الإله الطبيعية ، كذلك لا يستطيع أن يعدل قوانين الإله التشريعية التى أنزلها عن طريق رسله إلى البشرية .

ويمكننا أن نقول أيضاً : إن البشرية إذا كانت عاجزة عن وضع القوانين بينها وبين الطبيعة وقد وضعها الإله ، وفرض عليها اتباع هذه القوانين ، فهى عاجزة كذلك أن تضع القوانين التشريعية بين أفرادها أنفسهم لأسباب وأسرار يطول الكلام عليها ، وقد وضعها الإله وفرض على هذه البشرية اتباعها . .

وقد جرب الفلاسفة ، والعلماء ، والساسة ، وضع مثل هذه القوانين قبل عهد أرسطو ، وأفلاطون ، الى عهدنا هذا ، ففشلوا جميعاً ، بعدما عرضوا شعوبهم بسببها الى الفوضى والهلاك .

فهذا أفلاطون (٤٣٠ — ٣٤٨ ق.م) فى كتابه (الجمهورية) ، وهذا كنفوشوس (٥٥٠ — ٤٧٩ ق.م) فى كتابه (الحوار) ، وهذا الفارابى (٨٤٠ — ٩١٩) فى (آراء المدنية الفاضلة) ، وهذا توماس مور (١٤٧٨ — ١٥٣٥) فى كتابه (يوتوبيا) ، وهذه النازية ، والفاشية ، والراسمالية . والديمقراطية ، والشيعية كلها قد انهارت ، وتهار ، تاركة وراءها أسوأ الآثار والجرائم ، بعد ما انتهكت البشرية فى حروب طاحنة خلال نصف قرن من الزمن . ولله در شسوقى غقد خاطب الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم فقال يشير إلى الاسلام :

داء الجماعة من أرسطاليس لم يوصف له — حتى أتيت — دواء !

وكل ذلك من الأدلة الواضحة على حاجة البشرية الى الإسلام ، وأنه لا بد لها من الدخول فيه ! جرب أن تقرأ عن الإسلام ، ولو صفحات قليلة من مصادر موثوقة ، حاول أن تطالع القرآن العظيم باللغة العربية إن كنت تحسنها ، أو من الترجمة الصادقة ، فإنه لا شك سيجذبك إليه لدراسته بتفصيل ، إذا خلعت عنك رداء التعصب الذمى ، والتقليد الأعمى ، والتربية الحاقدة ، التى تربيت عليها . قبل أن أودعك ، فإنى استصرخ ضميرك أن تسارع الى دراسة الإسلام من مصادره الصحيحة : من القرآن ، وحديث الرسول محمد ، فإنه فى ذلك نجاتك ، ونجاة قومك ، ونجاة البشرية جميعاً ، من القلق ، والاضطراب ، والهلاك فى الدنيا ، وعذاب الله فى الآخرة .

واذكر أن مئات الغربيين المفكرين المتصفين من جميع الدول الأوروبية والأمريكية دخلوا ويدخلون فى الإسلام وأثنوا عليه ، وشهدوا بأن باستطاعته حل جميع مشكلات العرب بسرعة وأنه — لا شك سيقون دين الغربيين فى

الوقت القريب . فما يمنحك ان تكون واحدا منهم فتنتال سعادته الدنيا والآخرة .
واذكر في الختام أننا قد بلغناك دعوة الإسلام . فاصبحت مسؤولا أمام
الله عن الإيمان به . كما دعناك إلى ذلك السيد المسيح عليه السلام . ولا
تنسى في هذه المناسبة ان الإسلام غير المسلمين اليوم . فهم لا يعطون صورة
صحيحة عنه . وهو غير مسؤول عن تأخرهم وضعفهم وانحطاطهم . بعد ان
تركوا التمسك به بحق . بسبب إهمالهم وانحراغهم في دعاية المستعمرين والمبشرين
ضده .

ولا تنسى ايضا ان المسلمين لما تمسكوا بالإسلام تمسكا صحيحا وقويا .
وحدهم بعد غرقه . وقواهم بعد ضعف . ومذنبهم بعد تأخر . وجعل منهم خير
أمّة أخرجت للناس . ولما تركوه انهاروا وخذلوا . يشهد على ذلك التاريخ !
بمكس الحال في النصرانية بسبب تحريفها عن الأوربيين لما تمسكوا
بها قد تأخروا وعاشوا في العصور الوسطى المظلمة في الغرب . والمثلاثة الراقية
في الشرق بسبب حكم الإسلام ومبادئ الإسلام .

إن العالم اليوم يعيش في جاهلية مدمرة . وفوضى رهيبة . كما كان
يعيش قبل بعثة الرسول محمد . وكلما تقدم الزمن . كلما فقد سعادته . وزاد
في شقائه . وليس سوى الإسلام المنقذ والمخلص الوحيد .

زعامة العالم :

وبمناسبة الحديث عن الإسلام اذكر ان زعامة العالم في هذا الدين العظيم
لن تكون للعرب خاصة . إنها تكون لأكثر الناس صلاحا وإنتاجا وتطبيقا لمبادئ
الإسلام التي هي مبادئ الحق ، والقسوة ، والخير . والسلام . والجمال .

ان أول ما ينادى به الإسلام من أجل تحقيق السلام على الأرض . وإثارة
الضمير الإنساني . أنه يعلن في مناسبات كثيرة ان البشرية ترجع في أصلها
إلى نسب واحد وأبوين مشتركين . وإذا حكمنا العقل نجد ان كل ضرر يلحق
بإحدى الجماعات البشرية ينتقل إلى الجماعات الأخرى بطريقة مباشرة ، أو غير
مباشرة ، مما يدعوهم إلى المحبة . والوئام . والسلام .

وهذا المفهوم إذا كان غريبا في القديم . فإنه اليوم بعد اختراع وسائل
النقل السريعة العجيبة والإذاعة والتلفزيون والهاتف والبرق .. أصبح مقبولا
وضرويا ، فقد غدت الكرة الأرضية كوطن واحد ، أو بلد واحد ، وغدا سكانها
كأسرة واحدة ، أو كشعب واحد ، فهل رأيت أسرة واعية أو شعبا مفكرا ينشأ
بين أفرادها النزاع والخصام ؟

وبعد هذا النداء يعلن الإسلام . أنه لا بد لهذه المجموعة الإنسانية
الواحدة من تشريع عظيم موحد ، يعلمها حقوقها وواجباتها كيلا تختلف ، ولا تتنازع
فإنه ليس كاختلاف الناس في القوانين ، والمعارك ، سبب في النزاع ، والخصام .

موضع لهم نظاما راقيا ينطلق بهم في ميادين الرقي . والفضيلة . والسعادة ، والسلام ، فلا نزاع . ولا ظلم ، ولا حرب . ولا جحود . ولا تأخر .

وليس هذا الكلام دعابة غارغة ، فقد طبق الإسلام منذ قرون سابقة ، فحقق جميع هذه الأهداف بشهادة المنصفين من الغربيين ، وأوجد مدينة دمشق ، وبغداد ، والاندلس ، فكانت سبب مدينة الغرب وإعجابه .

آه ! ما أحوج الغربيين اليوم الى الإسلام ليعلمهم الحياة السعيدة الراقية التي لم يذوقوها حتى الآن ، صحيح أنهم طاروا في السماء . وغزوا القمر ، ولكنهم ويا للأسف — لم يعرفوا حتى كيف يعيشون على الأرض بسعادة وسلام ، فكانت هذه الاختراعات والاكتشافات سبب شقائهم ، وباتت تهددهم بالدمار والقتناء .

اذكر على الدوام أن محمدا رسول الله كما وصف نفسه — رحمة مهداة من الله الى الإنسانية ، وقد بعثه ليخرج الناس :

١ — من عبادة المخلوق إلى عبادة الله وحده .

٢ — ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

٣ — ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .

٤ — ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .

واذكر في ختام هذه الرسالة أن البشرية اليوم منقسمة الى معسكرين متخاصمين ، ويوشك أن تقع حرب مدمرة بينهما بسبب اختلافهما في الفردية والجماعية . في الرأسمالية ، والشيوعية ، وفي الروحية . والمادية ، ولا يمكن توحيد هذين المعسكرين والتوفيق بينهما إلا بالإسلام ، فهو وسط بين الرأسمالية ، والشيوعية ، وبين الفردية . والجماعية ، وبين الروحية ، والمادية .

تعال نصلي إلى الله تعالى ، وندعوه أن يجمع البشرية على دين واحد صحيح ، يوحد بينها ، ويحقق لها السعادة والرقي والسلام .

(١) راجع تاريخ الامام محمد عبده ١٠/٢ ، وأرجو بهذه المناسبة مراجعة المجلد ٢٨ المعداد

٧ الصادر في إبريل نيسان ١٩٦٥ من مجلة لايف الأمريكية حيث يثبت كبار العلماء الغربيين حدوث التحريف في التوراة والانجيل .

(٢) ترجمت هذه الكلمة الى اليونانية بلفظ (بيركلوطوس) أو باراكلوت فكانت بمعنى محمد

وأحمد ، كما هو واضح في الانجيل المطبوع اعوام ١٨٢١ و ١٨٢١ و ١٨٤٤ ثم حُرِّفَ ويا للأسف لاضاعة الحقيقة وترك البشرية في الضلال والفوضى .

أصول منهج الفكر الإسلامي

١

للدكتور : محمد عبد الستار نصار

● فالذين يرون ان المثلين للفكر هم الفلاسفة ، يذهبون الى تأكيد فكرة التأثير ، بناء على كثرة العناصر المنبثقة في ثنايا الفكر الفلسفي الاسلامي . من الفكر اليوناني وبعض عناصر الفكر الشرقي ، ثم لا يحاولون ان يتلمسوا للفكر الاسلامي اصولا نابعة من ذاته ، بل يرون انه مسدين في شكله العام لمنهج الفكر اليوناني ، وعلى الاخص « منطق أرسطو » .

● ولقد دفع هؤلاء الى هذا الموقف ان هذا المنطق أصبح يحتل — بعد ترجمته — في عقول كثير من المفكرين مكانا عليا ، كمنهج للتفكير السليم ، متى روعيت قواعده عصم الذهن عن الخطأ في الفكر ، كما هو التعريف الغائي له ، لدى المعلم الأول نفسه . وما زالت تلك الفكرة تلقى القبول والاستحسان ، حتى في الاوساط الفكرية الاسلامية ، التي تتسم بطابع

● تختلف وجهات النظر في تقويم منهج الفكر الإسلامي ، فبينما يذهب البعض الى تأكيد تبعيته للفكر الأجنبي ، وعلى الأخص الفكر اليوناني ، يذهب آخرون الى أصالته ، وعدم تأثره بأي فكر دخيل ، وبين هؤلاء وأولئك فريق ثالث يرى أن الفكر الإسلامي — ككل فكر إنساني — مدين في منهجه لكثير من عناصر الفكر الأجنبي ، ولكن بعد أن البسها روحه ، بحيث أصبحت متفقة مع البيئة الإسلامية .

● ولكل فريق من هؤلاء أدلته التي يعتمد عليها في تأكيد ما يذهب إليه ، ونظرته الى نوعية من يمثلون الفكر ، أهم أصحاب الاتجاه المثالي الفلسفي أم أصحاب الاتجاه العقلي في دراسة العقيدة — وعلى الأخص المعتزلة — أم أصحاب الاتجاه المحافظ من بقية المتكلمين والاصوليين ؟ .

أصول منهج الفكر الإسلامي

فى التفكير ، يختلف تمام الاختلاف عن طابع التفكير اليونانى ، الذى كان منطق أرسطو منهجه .

● ويبدو أن السبب الرئيسى فى تأكيد هذه الفكرة لدى هؤلاء ، أن طلائع المفكرين الإسلاميين ، من الفلاسفة على اختلاف مشاربهم الفلسفية ، لم يحاولوا أن يتقنوا من هذا المنطق موقف الدارس المحص ، الذى يحاول أن يرأب صدعاً أو يضيف جديداً ، بل كانت جهودهم فى شرحه وتقريره وتبسيطه ، ولا يخفى أن ذلك كله ، فرغ عن الايمان بقضاياها الأساسية .

● وإذا تجاوزنا المرحلة السابقة على ظهور « الفارابى » كفيلسوف له قيمته ، نجد أن ذلك الفيلسوف قد أشرب حب المنطق الأرسطى ، بحيث ملك عليه أقطار نفسه ، وأخذ بهجامع عقله ، ولعل أكبر شاهد على ذلك ، تلك العناية الفائقة التى لقيها كتاب « البرهان » (١) على يده ، فقد بلغت مؤلفاته وشروحه لهذا الكتاب نحو عشرة كتب ، كلها تدور حول تعميق موضوع « التحليلات الثانية » للمعلم الأول ، باعتبار أن هذا القسم من المنطق هو الغاية من العلم كله ، كما صرح أرسطو نفسه لأنه الطريق المؤدى الى اليقين .

● ولم يقف الفارابى عند هذا الحد ، بل حاول إيجاد نسب بين المنطق — كعلم أجنبى الوضع بغض النظر عن كونه من نتاج العقل

العام — وبين البيئة الإسلامية ، فجمع — كما يقول ابن أبى أصيبعة — بعض أقاويل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجيز الاشتغال بالمنطق . وسواء صحت هذه المحاولة أو لم تصح ، فإن الذى يعيننا أن هذه الفكرة لم تنشأ إلا كرد فعل لتيار مخالف ظهر فى محيط الفكر الإسلامى ، يرى أن الاشتغال بالمنطق مما يخالف ما جاء به ظاهر الشرع .

● وكان الفارابى قد أراد بهذه المحاولة أن يسترضى الجماهير والعامية ، وهم فى نظر كل عاقل مكامن الخطر على كل جديد ، لأنهم لم يعرفوا غيبتوا أو يرفضوا على أساس علمى مقبول .

● ولقد حمل ابن سينا — بعد الفارابى — راية المنطقية الأرسطية فى العالم الإسلامى ، وحذا حذو المعلم الأول فى كل شيء ، بل يكاد يردد الفاظه وأمثله ، وليس له من فضل إلا الشرح والإطناب ، وكأنه أراد بهذا المنهج أن ينزل بالمنطق الى مستوى أنصاف المثقفين ، وأن يجعله علماً شعبياً إن صح هذا التعبير ، ولقد ظهر هذا بوضوح فى أغلب كتبه المنطقية ، بحيث يجد المطالع لكتب أرسطو المنطقية وكتب ابن سينا فى هذا العلم ، ذلك الفارق الشاسع بين الأسلوبين ، فبينما هو عند المعلم الأول جاف خال من كل تزويق وتنميق لا تساق فيه الأمثلة والشواهد إلا من خلال البيئة اليونانية ، نجده لدى ابن سينا أسلوباً رشيقياً قوياً ، تعلوه الطلاوة ، وتتخلله الأمثلة المستقاة من واقع البيئة الشرقية ، ثم الأمثلة الطبية بحكم اشتغاله بهذا العلم ، كفرع من فروع الفلسفة بمعناها العام .

التأثير والتأثر . ولم تكن المخالفة حينئذ « إلا غى الاصطلاحات والإيرادات ، دون المعانى والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظر (٢) » .

● ولقد كانت هذه الفكرة أولى الخطوات فى موقف الغزالى من هذا العلم ، ذكرها فى كتابه « مقاصد الفلاسفة » الذى يعتبر تحريراً لمسائل العلم ، الذى ناقش فيه الفلاسفة ، فى كتابه « تهافت الفلاسفة » . وكان عليه بعد ذلك أن يبين رأيه فى هذا الكتاب بشكل أكثر وضوحاً واستيعاباً فقرر : « أن المنطقيات لا بد من إحكامها ، وهذا صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم — الفلاسفة — وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن « الكلام » كتاب « النظر » فغيروا الى المنطق تهويلاً . وقد نسميه كتاب « الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » . فإذا سمع المتكلمين المستضعف اسم المنطق ، ظن أنه فن غريب ، لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطالع عليه إلا الفلاسفة (٣) » .

● وإذا كان هذا الموقف ينحو نحواً نظرياً ، فقد حاول الغزالى فى كتبه المنطقية التى جاءت بعد هذين الكتابين — المقاصد والتهافت — أن ينحو نحواً تطبيقياً . من ثم نرى كتاب « معيار العلم » يبدو فى شكل محاولة ممتازة نحو الموضوعية والتطبيق ، تظهر من خلالها المقابلة بين اصطلاحات المناطقة واصطلاحات نظار المسلمين فى كل من التصورات والتصديقات . ومن أجل عدم التلبس ، يرى الغزالى أن المنهج الأصوب الذى يوصل الى

● على أن تجربة ابن سينا فى إيجاد منطق مخالف فى جزئياته وكلياته لنطق أرسطو ، تعتمد على تصورات مخالفة لتصورات المعلم الأول ، وهى التى أطلق عليها « منطق المشرقيين » هى أيضاً تجربة لم تأت بنتائج إيجابية موضوعية ، وإنما هى فى نظرنا نتائج صورية ، على الرغم من تلك التلويحات التى صدر بها هذا الكتاب ، والتى يقول فيها : « وبعد : فقد نزعنا الهمة بنا الى أن نجمع كلاماً فيها اختلف أهل الحديث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية وهوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب الفناها للعالميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم » . ذلك لأن ابن سينا لم يخرج فى هذا الكتاب على ما ذكره فى كتبه المنطقية ، أو على الأقل فى قسم التصورات ، وهو الذى بين أيدينا من هذا الكتاب .

● ولقد أخذت صورة أثر منطق أرسطو على تفكير المسلمين شكلاً آخر على يد حجة الإسلام الغزالى ، فبينما كان ذلك المنطق هو الأصل الذى اعتمد عليه المسلمون فى تفكيرهم لدى كل من الفارابى وابن سينا ، وأنه ليس للمسلمين بإزائه إلا الإيمان الكامل بصدق قضائاه ، كآثر من نتاج فكر أرسطو المنظم ، يحاول الغزالى أن يعطى لهذا المنطق صورة اليقين المطلق ، ولكن يربطه بالعقل العام ، غيرى أن الحقيقة العقلية لا تختلف من بيئة الى أخرى ، من ثم كان ما بين المناطقة وبين نظار المسلمين من قبيل التوارد لا من قبيل

أصول منهج الفكر الإسلامي

انصاف المثقفين والعامية أن علم المنطق — كعلم أجنبي النشأة — ليس له أساس شرعى . ولقد تجلّى هذا الموقف بشكل أكثر وضوحاً لدى أصحاب الاتجاه « الحافظ » فى نطاق الفكر الإسلامى ، من ثم نرى الغزالى يحاول فى كتابه « القسطاس المستقيم » إيجاد أساس شرعى لهذا العلم ، وذلك باستخراج صور الأقيسة المنطقية من القرآن الكريم ،

● وإذا كان القرآن الكريم ، لم يكن على صورة كتاب فنى فى أى علم من العلوم ، لأن له نظاماً خاصاً ، يجعله فى مكانة وحده ، فإن على الغزالى أن يستعمل مهارته العقلية فى تدعيم فكرته ، وقد ساعدته « لغة القرآن » على ذلك ، عندما حاول استخراج صور الأقيسة المختلفة من بعض آيات القرآن الكريم ، فإذا لم تكن الصورة الظاهرة للقياس مكتوبة ، فإن الأضمار — فى شكل إيجاز أو حذف — إذا كان هو الذريعة التى استعملها الغزالى فى هذا المقام ، حتى يأخذ القياس صورته العقلية ، التى تعتمد على مقدمتين وحدود ثلاثة .

● ولقد أطلق الغزالى على الأقيسة اسم « الموازين » ، « فالقياس الحلقى » هو ميزان التعادل ، « القياس الشرطى المتصل » هو ميزان التلازم ، و « القياس الشرطى المنفصل » هو ميزان التعاند . وميزان التعادل يجيء فى ثلاثة أشكال :

(١) أكبر : وهو الشكل الأول من القياس الحلقى .

(٢) أوسط : وهو الشكل الثانى من القياس الحلقى .

الحق فى قضايا العلم ، هو أن تسبق معرفة الاصطلاحات المنطقية ومقابلتها لدى النظائر ، قبل الحكم على قيمة ما عليه الفلاسفة ، ومعرفة الحق من الباطل مما هم عليه . من ثم يرى أن « من لم يفهم الألفاظ فى أحاد المسائل فى الرد عليهم — فى كتاب التهافت — فنبغى أن يبتدىء أولاً بحفظ كتاب « معيار العلم » الذى هو الملقب بالمنطق عندهم » .

● ولقد أخذت محاولة التطبيق هذه شكلاً أضيق ، ولكنه أكثر استيعاباً من ناحية موازنة الاصطلاحات بين علم المنطق ومدارك العقول لدى نظائر المسلمين ، فى كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة ، ونعنى به كتاب « محك النظر » ، فقد بين فى هذا الكتاب — على سبيل التفصيل — أن الخلاف بين العلمين لا يتجاوز اللفظ ، فمثلاً : ما يسمى فى علم المنطق « الموضوع » و « المحمول » ، هو بعينه ما يسمى لدى الفقهاء والأصوليين بالحكوم عليه والمحكوم به ، وما يسمى لدى علماء اللغة بالمسند اليه والمسند وما يسمى لدى النكلمين بالموصوف والوصف . وكذلك ما يسمى فى المنطق باسم « القياس » هو ما يسمى عند نظائر المسلمين بطرق الاستدلال .

● وكان الغزالى قد أحس بعد ذلك كله ، أن هذه المحاولات قد ترضى ذوى الثقافات الخاصة والعقلليات المستنيرة ، فى الوقت الذى يدعى فيه

(٣) أصفر : وهو الشكل الثالث من القياس الحملي .

● والميزان الأكبر هو ميزان الخليل - صلوات الله عليه - الذى استعمله مع « نمرود » عندما ادعى الألوهية . فقال ابراهيم عليه السلام - كما حكاه القرآن - : « ربى الذى يحيى ويميت (٤) » ومفهوم هذه الآية أن نمرود اللعين ، لا يقدر على ذلك حقيقة ، بحيث يستطيع التأثير بالإماتة والإحياء على نفس واحدة ، ولكنه فهم من قول ابراهيم عليه السلام أن عملية الإماتة فى حد ذاتها قد يفهم منها معنى مخالف ، وهى إحياء النطفة بالوقائع وإماتتها بالقتل ، ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى رده على ابراهيم بقوله : « أنا أحيى وأميت » . ولما أدرك ابراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر فهم بطلانه ، عدل الى ما هو أوضح عنده فقال - كما حكى القرآن - : « إن الله يأتى بالشمس من المشرق غأت بها من المغرب ، » فبهت الذى كفر » ولما كان القرآن الكريم مبناه على الإيجاز والحذف ، فإن كمال صورة هذا الميزان أن يقال : « كل من يقدر على الشمس فهو الإله - فهذا أصل ، يعنى مقدمة - وإلهى هو القادر على الاطلاع - وهذا أصل آخر ، يعنى مقدمة ثانية ، فليزمن مجموعهما أن الله هو الإله حقيقة . وكبرى هاتين المقدمتين معلومة بالوضع ، فهى ضرورية التصديق ، وصغرها معلومة بالمشاهدة والعيان ، فهى ضرورية التصديق ايضا ، فيلزمن من معرفتهما أن « نمرود » ليس هو القادر على تحريك الشمس ، ويعلم تبعا لهذا أنه ليس إلهًا ، وإنما الإله هو الله تعالى .

● وأما الميزان الأوسط - الشكل الثانى - فقد جاء فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام فى الشكل - حيث قال : « لا أحب الآفلين (٥) » ، وكمال صورة هذا الميزان أن القمر أفل ، والإله ليس بأفل ، فالقمر ليس بإله . والعلم بصدق هاتين المقدمتين ضرورى ، إذ إن أولاهما معلومة بالمشاهدة ، وثانيتهما معلومة بالضرورة ، وحقيقة هذا الميزان أن كل مثليين وصف أحدهما بوصف ، فسلب ذلك الوصف عن مقام الفنى - كما هى طبيعة ذلك الآخر ، فهما متباينان ، وعلى هذا فحد هذا الشكل أن الذى ينفى عنه ما يثبت لغيره ، يكون مباينا لذلك الغير .

● وآخر امسام ميزان التعادل هو الأصفر - الشكل الثالث - وصورته من القرآن الكريم جاءت فى قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس (٦) » . فقول الكفار - لعنهم الله - ما أنزل الله على بشر من شيء دعوى عامة ، وهى فى نفس الوقت غير صحيحة ، إذ أنه يلزم من ازدواج المقدمتين فى الآية السابقة ، وهما أن موسى عليه السلام بشر ، وأنه أنزل عليه كتاب ، قضية خاصة ، وهى أن بعض البشر أنزل عليه كتاب ، وبهذا تبطل دعوى العموم التى ذهبوا إليها حيث قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء ، وكون موسى عليه السلام بشرا أمر معلوم بالضرورة ، وكونه منزلا عليه كتاب معلوم باعترافهم ، إذ كانوا يخفون

أصول منهج الفكر الإسلامي

ينبغي أن يحتكم إليه جميع الطوائف ،
فى مقابلة المناهج الخاصة ، التى
يكون فى مقدمتها منهج « التعليمية »
الذين لا يؤمنون إلا بما يجيىء عن
طريق الامام المعصوم .

● وقد صرح الفزالى بأن الذى
حمله على ابتداع أسماء هذه الموازين
هو ما جبل عليه الضعفاء - ومنهم
التعليمية طبعاً - من الاغترار
بالتظاهر ، بحيث لو سقى أحدهم
عسلاً فى قارورة حجام لم يطق تناوله
لتصور الطبع عن الحجمة ، وضعف
العقل عن أن يعرف أن العسل طاهر
فى أى زجاجة كان . وهو بهذا التعليل
يدفع التقليد ، ويطرح جنوح الطبع ،
حتى تنزل الأحكام على حكم العقل .
وينتهى الفزالى من هذا الموقف الى
هذه النتيجة المحددة ، وهى أن المنطق
وأن كان علماً يونانى النشأة ، إلا أنه
علم يجب معرفته ، والاحتكام إليه
كمنهج للتفكير ، لأنه يقوم على أساس
عقلى ، وليست أحكام العقل خاصة
بأمة دون أخرى ، وقد أراد باستخراج
صور الأقيسة من القرآن الكريم أن
يثبت أن هذا الكتاب يستعمل أنماط
التفكير العقلى فى الاستدلال على
صدق قضاياء ، ولعله بهذا قد أراد أن
يطمئن للمتصعبين بالهم ، فلا يحكون
على المنطق هذا الحكم القاسى ، الذى
يجافى قواعد التفكير الصحيح ، وهو
حرمة ذلك العلم لكون واضعه رجلاً
من اليونان . فما أشبههم فى نظره
بمن يحكون على الحق بالرجال ،
وهذا حكم بالعرض على الجوهر . أما
الحكم الصحيح فهو الحكم على الرجال
بالحق ، وهذا حكم بالجوهر على
العرض .

بعضه ويظهرون البعض الآخر ، كما
صوره القرآن بقوله : « تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً »
وحد هذا الميزان أن كل وصفين
اجتمعاً على شىء واحد ، فبعض أحاد
الوصفين لا بد أن يوصف بالآخر
بالضرورة ، من ثم كانت نتيجة هذا
الميزان جزئية دائماً .

● وكما استخرج الفزالى صور
الأقيسة المحلية من القرآن الكريم ،
استخرج أيضاً صور الأقيسة الشرطية
بنوعها : المتصلة والمنفصلة ، ولقد
كان يهدف من وراء هذا الى تأكيد ما
ذكره فى أول كتبه الفلسفية ، ونعنى
به « مقاصد الفلاسفة » من أن
الفلاسفة لا يخالفون أهل الحق من
حيث المنهج إلا بالاصطلاح ، وأن
القرآن الكريم - وهو الكتاب الوحيد
الذى لم يحرف ، والذى ينزل عليه
جميع الطوائف الإسلامية - قد
اشتمل على صور الأقيسة المنطقية ،
وبهذا كان لمنطق المسلمين أساس من
كتابهم .

● وغوق هذا الهدف الذى كان
يقصد به رد دعوى أصحاب الاتجاه
المحافظ من الفقهاء والأصوليين
والمتكلمين ، نلاحظ أن الفزالى فى هذا
الكتاب - التسطاس المستقيم -
يرفع من شأن المنطق - كمناهج أمكن
استخراج صور استدلالاته من القرآن
الكريم - باعتباره المنهج الوحيد الذى

● وقد انتهى الغزالي من رحلته مع المنطق الى بيان صلته بالدين ، وهذا الموقف أكثر صراحة من كل المواقف السابقة ، وقد بين ذلك في كتابه «المنقذ من الضلال » ، الذي كشف فيه عن موقفه من علوم عصره ، مبنيا صلتها بالدين . أما المنطق على الخصوص فلا تعلق له بشيء من الدين نفيًا أو إثباتًا ، شأنه في ذلك شأن الرياضيات ، ويضرب لذلك مثلاً بقوله : غاي شيء يتعلق بالدين نفيًا أو إثباتًا في قول المناطقة : ان القضية الكلية الموجبة تنعكس جزئية ، حتى يجحد وينكر ؟ (٧) . ثم يبين أن من ينكر هذه المسائل ، لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقله ، بل في دينه ، اذا كان يزعم أنه موقوف على هذا الانكار .

● هذا هو الجانب التطبيقي في المنطق كما يرى الغزالي ، وشهادته هذه تعتبر تقويماً له من الناحية النظرية ، ولكن لما كان المنطق علماً معيارياً تطبيقياً ، فإن الخطر إن وجد يكون من هذه الناحية . من ثم نرى الغزالي يحدد وجه الخطر فيها يأتي :

أولاً : لقد وضع المناطقة للبرهان من الناحية النظرية شروطاً يعلم أنها تورث اليقين ، لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بها ، بل تساهلوا غاية التساهل .

ثانياً : ربما ينظر في المنطق من يستحسنه ويراه واضحاً ، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فيستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الإلهية (٨) .

● ومما لا شك فيه أن الغزالي بهذا الموقف قد قتل من قيمة المنطق العملية ، لأنه لما كانت قيمته في كونه علماً تطبيقياً ، أو كما يسميه المنطقيون أنفسهم « فن المنطق » فإنه بناء على بيان الغزالي لوجوه الخطر فيه من ناحية التطبيق ، يكون المنطق « كفن تطبيقي » قد تضاعف ، وانزوى في دائرة الصدق النظري ، لا الصدق الواقعي . وفي تقديرى أن الغزالي في تقريره لهذه المسألة لم يخل من ذكاء ، لأن مفهوم ما ذهب اليه أن ما شاب المنطق من عدم الثقة ، لم يكن مرجعه الى العلم من حيث هو ، بل الى المناطقة انفسهم ، ومعنى هذا أن المنطق يحوى في ذاته وسائل اصلاحه ، وذلك إذا روعيت الشروط التي وضعها المناطقة عند تطبيقه على المسائل الدينية .

● ومهما يكن من شيء فإن الغزالي ما كان له أن يفعل في هذا المقام أكثر من هذا . غلو صرح بأن المنطق في نفسه غير صحيح لكان متناقضاً مع نفسه أشد التناقض ، ولو صرح بأن القيمة العملية للمنطق تساوى قيمته النظرية ، بمعنى أنه المنهج الوحيد لإدراك الحق ، لكان أيضاً متناقضاً مع نفسه ، لأنه صرح بأن الوصول الى الضروريات ليس مقصوراً على الأدلة المحررة ، بل يمكن إدراك الحق بنور يقذفه الله في القلب ، فمن ظن أن الكشف مقصور على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . وهنا يتبادل الوصول الى الحقيقة — من وجهة نظر الغزالي — منهجان : —
أحدهما : المنهج النظري الاستدلالي ، إذا روعيت شروطه . وهذا عام لكل

أصول منهج الفكر الإسلامي

الناس ، كما أنه عام في كل العلوم .
ثانيهما : المنهج العيانى الكشفي ،
وليس هذا إلا لن اجتباه الله ووفقه
لسلوك هذا الطريق .

● ولقد صرح الغزالي في آخر كتبه
التي تحدث فيها عن المنطق ، ونعنى
به كتاب « المستشفى من علم
الأصول » بأن المنطق مقدمة لكل
العلوم ، وأن من لا يحيط به فلا ثقة
بعلومه أصلاً . وهذا إن دل على
شيء فأنما يدل على أن الغزالي كمفكر
دينى - لم يحاول أن يتخذ منهج
المحافظين ، وهو التشكيك في هذا
العلم تارة ، أو الحكم عليه بالحرمة
تارة أخرى ، ذلك لأن أهم ما يعتمد في
المعارك الفكرية ، أن يكون هناك
منهج متفق عليه ، حتى لا يكون هناك
مجال للاتهام بالهوى والتحكم .

● ولعلنا بهذا نكون قد أوضحنا
موقف الغزالي من أصل هذا العلم ،
والفرق بينه وبين موقف كل من
الفارابى وابن سينا . ولعل القارىء
الكريم يلاحظ أننا أطننا كثيراً في
الكلام عن الغزالي ، وأننا قد
استعرضنا موقفه من المنطق في كل
كتبه التي تحدث فيها عنه ، بنفس
ترتيبها التاريخي ، وعذرنا في ذلك أن

فلاسفة الإسلام المشائين - وعلى
الأخص الفارابى وابن سينا - لم
يحاولوا ربط المنطق بأصله الإسلامى
كما فعل الغزالي ، واكتفوا باقراره
كمدخل للعلوم . ويبدو أن تبعية
للمشائية اليونانية ، قد اضطررتهم الى
مثل هذا الموقف . أما الغزالي فقد
كان بحكم مركزه الدينى الكبير من
ناحية ، وبحكم منازلته الفلاسفة في
معركة فكرية ، ينبغى أن يختبر فيها
المنهج أولاً ، ولأنه مع هذا وذاك كان
المثل الحقيقى للفكر الإسلامى في
المشرق في عصره ، كل هذا هو الذى
جعلنى اتف معه كثيراً ، بالنسبة
لسابقيه .

● وبهذا يتبين لنا أن الذين يقولون
بتبعية منهج الفكر الإسلامى للمنطق
الأرسطى ، يعتمدون على ما ذهب
الفلاسفة الخالص ، أمثال الفارابى
وابن سينا ، وأما الذين يقولون أن
للمنهج الفكر الإسلامى أصوله ،
فيعتمدون على محاولة الغزالي التي
ذكرناها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية
أخرى يعتمدون على موقف بعض
اللغويين ، الذين حاولوا الوقوف في
وجه المنطق الأرسطى ، وكذا موقف
بعض المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم
وأصحاب الفكر المحافظ من
السلفيين ..

- (١) انظر د. عبدالرحمن بدوى . مقدمة كتاب
اليزهان من منطق الشفاء لابن سينا .
- (٢) مقاصد الفلاسفة ص ٤ .
- (٣) تهافت الفلاسفة ص ٩٠ .
- (٤) سورة البقرة ٢٥٨ .

- (٥) سورة الانعام ٧٦ .
- (٦) سورة الانعام ٩١ .
- (٧) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .
- (٨) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .

مؤتمر علماء المسلمين السابع

■ ماذا حدث في مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة
■ لأول مرة مشاكل المسلمين في كل مكان وبصورة واضحة

للاستاذ : صلاح عزام

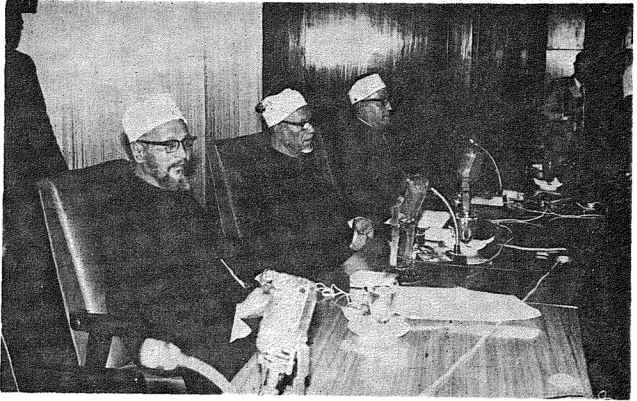
- مشاكل المسلمين في العالم .. وبصراحة لأول مرة .
- والفكر الاقتصادي الاسلامي وبالذات الاستثمارات والمصارف والفوائد ..
- و .. الحريات والحقوق في الاسلام والدعوة الاسلامية .

وقد حضر افتتاح المؤتمر وغود من ٤ دولة بينهم ٥ وزراء و ٥ رجال الافتاء و ٢ مديري جامعة .

عقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمره السابع بالقاهرة .. ورأس الاجتماعات .. وعلى مدى ٣٠ يوما .. وعلى فترتين فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر .

وبدأت الفترة الاولى من ٣٠ رجب ٨ سبتمبر ولمدة اسبوع .. ثم عقدت الفترة الثانية من ٨ شعبان - ١٦ سبتمبر - الى آخر شهر شعبان .

ونوقشت خلال الجلسات قضايا هامة ومن ذلك :



المنصة الرئيسية للمؤتمر .

المستعمرين وأذئاب المستعمرين
حماية ليومنا وغدنا وأعراضنا
وأموالنا وأنفسنا .

● وعلينا أن نقيم حد السرقة بعد
أن فشلت كل العقوبات التي تضمنها
القوانين الوضعية .

● ويجب علينا أن نبين للناس رأي
الاسلام فيها يجد وجد من المعاملات
المصرفية كالتأمين بجميع أنواعه
وكشهادات الاستثمار والادخار
وغيرها (..) .

مشاكل المسلمين

وبدأ المؤتمر عمله .. بالاستماع
الى مشاكل المسلمين في العالم .

وتحدث الامام الاكبر في جلسة
الافتتاح فقال نقدا موضوعيا
للمؤتمرات السابقة وتوجيها للعلماء ،
وتحديدا لمعالم خطوات المؤتمر فقال :
« يا ورثة الانبياء .. ويا اعلام الهدى
الموضوعات التي احب ان اتدارسها
مع حضراتكم في هذه الدورة ما يأتي :

● يجب التصدي للذين يتصيدون
المسلم البعيد عن الثقافة الاسلامية
أو الواقع تحت ضغط الفقر والحرمان
والفاقة .

● يجب التصدي للذين ينفثون
سموم التفرقة بين المسلمين بضرب
وحدثهم .

● يجب التصدي لؤامرات

● بلغاريا ..

وكان أول المتحدثين الشيخ طاهر الزاوى مفتى ليبيا .. حيث نقل الى العلماء ما يحدث للمسلمين فى بلغاريا ، وعملية ابادة المسلمين هناك ، واللقاء على كلمة الاسلام .. وانه علم بهذا من بعض المسلمين فى بلغاريا عند زيارته ليوغسلافيا وقال الشيخ طاهر الزاوى إن الشيوعية فى المجر تلجأ الى أسوأ السبل .. ومن هذا ..

● يطلب من المسلمين البلغار تغيير أسمائهم وهو من اصل عربى وتركى الى أسماء بلغارية ومسيحية. ● ويطلب منهم أيضا الانفصال عن الدين وتجريدتهم منه .

● ويمنع قيد المسلمين فى السجلات المدنية الا اذا تحولت أسمائهم الى أسماء بلغارية مسيحية .

● وعدم صرف السلع من التعاونيات للمسلمات الا اذا غيرن أسماءهن .

● وعدم صرف أجور العمال المسلمين الا اذا تغيرت أسمائهم . وقال الشيخ الزاوى .. ان هذا الامر أصبح علنا ومنشورا فى الصحف وقدم ترجمة لما ينشر فى بعض الجلات البلغارية ..

و .. أن هذه المحنة التى يعانى منها مسلمو المجر .. لو تحقق الهدف الشيوعى منها فسيكون الامر مشابها مع مسلمى الدول الاخرى ..

● وقبرص ..

وفى جلسة أخرى .. عرض الدكتور مصطفى رفعت مفتى قبرص على المؤتمر صورة دامية لما يعانىه المسلمون فى قبرص .. وللمذابح التى يشنها عليهم اليونان ومسيحيو قبرص .

و .. ان هذه الجرائم بدأت من ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٣ ولم تتوقف ..

و .. أن ١٠٠ قرية تضم المسلمين هوجمت بواسطة عصابات مسلحة من القبارصة اليونان وأرغم النوف من المسلمين القبارصة على ترك منازلهم وممتلكاتهم والهجرة خارج البلاد ..

و .. أن ١٠٣ مسجدا من بين ٢٧٤ مسجدا فى قبرص قد هوجمت وبلغت خسائرها ٣٥ مليون جنيه استرلينى .

و .. أن ٢٨٪ من العاملين المسلمين قد استبعدوا عن مناصبهم و .. أن الخسائر الكلية لمسلمى قبرص بلغت ١٠٠٠ مليون جنيه استرلينى وطالب الدكتور مصطفى من العلماء اليقظة والعمل .

● الفلبين

وفى اليوم الرابع للمؤتمر ومع الصباح الباكر انفجرت مشكلة مذابح المسلمين فى الفلبين على أثر وصول برقية من مدير جامعة الفلبين ينعى للعالم الاسلامى عدوان خصوم وحرقت الجامعة .

وجاء أحمد النتو ليعيد للاذهان مذابح مسلمى الفلبين ويطلب من المسلمين أن يتحركوا .. وأن يتحدوا .. وأن يتعاونوا .. وذكر تفصيلا ما يحدث للمسلمين هناك .. وطالب العالم الاسلامى بأن يتخذ موقفا موحدا ضد خصوم الاسلام .. والا فان ساعة من السماء ستحل بهم فى الوقت الذى سوف ينصر الله عباده ويعلى كلمة دينه ونصرة عباده المخلصين .

● ومسلمو أوروبا

وتحدث عن أحوال مسلمى أوروبا



الجلسة الأولى للمؤتمر وفي الصف الأول الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والمشتون
الإسلامية بالكويت ود. عبد العزيز كامل . ود. حسن صبري القولي .

و .. أن المسلمين لا يزالون يعانون
من الاضطهاد في كثير من بلاد
أوروبا حتى أنه في إسبانيا يحرم على
المسلمين اتخاذ مساجد لهم .

و .. أن مسؤولية مسلمي العالم
العربي نحو أخوانهم في أوروبا تتحدد
في أمرين هامين أولهما .. وصول
صحافة إسلامية مسموعة إلى مسلمي
العالم .. وثانيهما .. توفير المعلم
والكتاب الإسلامي .

ومسلمو أفريقيا وآسيا

وعن مسلمي أفريقيا وآسيا ..
فقد تحدث عنهم وبالتفصيل الأستاذ

كل من الشيخ أبو بكر حمزة مدير
مسجد باريس ، واسماعيل بالتيش
أمين مكتبة الدولة بالنمسا ، والشيخ
ضياء الدين خان مفتي روسيا .

● قال الشيخ أبو بكر حمزة .. أن
الإسلام يجذب المثقفين في فرنسا
حتى أن بعض رجال الكنيسة يدخلون
في دين الله ..

و .. أن مسجد باريس يسجل
سنويا اسلام ما بين ٥٠٠ - ٦٠٠
فرنسي مسيحي .

● وقال اسماعيل بالتيش .. أن
الظاهرة التي يدهش لها الجميع في
النمسا .. هي أن العمال هناك
يقبلون على الاسلام .

والمؤتمرات والمراكز التي تعنى بالتثوث الإسلامية ووضع خطة مرسومة ومدعمة .

● و .. العمل على انشاء مؤتمـر دائم يعمل على مدار السنة ويمثل فيه مندوبون منتخبون عن هذه المراكز .
و .. الكلية الثانية .. كانت للاستاذ صالح مسعود بويضير وزير الاعلام السابق الليبي ، استعرض فيها قضية فلسطين .. ودور الجهاد والنضال .. وحدد مواقف الرجال من المعركة .. وطالب المؤتمر بدراسة جادة لـ (واجبات العالم الإسلامي تجاه الصهيونية العالمية بعد استفاد الجهود السلمية .

و .. اننا يجب أن نعلن في صراحة .. بأن كل الحروب التي تشن ضد المسلمين .. انها هي حروب صليبية .. ثم قدم ١١ مقترحاً منها :

● نشر تعليم اللغة العربية في كل البلاد الإسلامية .

● انشاء مكتب اعلامي للمجمع يقوم بنشر مطبوعاته وتوزيعها على الهيئات والجماعات والجامعات .

● اعطاء أهمية لاوغندا التي أصبحت معقلاً من معاتقل الحرب ضد الاسلام والمسلمين .

● تغذية المناهج المدرسية بالقصص والتاريخ الإسلامي .

● تدريس الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية في المراحل الجامعية .

الاقتصاد الإسلامي

وبعد ذلك جاء دور الاقتصاد الإسلامي .. وتحدث فيه عدد من العلماء والاستاذة .. وكان أهم البحوث .. بحثا الشيخ على الخفيف والشيخ يس سويلم طه .. فقد اتجه الشيخ على الخفيف الى أن ما يوضع من المال لدى بنك من البنوك فهو

يسودرى هاشم — سيلان — غيبين الفارق في المعاملات بين المسلمين والمسيحيين .. وكيف أن المسيحيين الاقلية في الدول الإسلامية يحصلون على كل شيء وعلى قدم المساواة .. والعكس في الدول المسيحية حيث تظهر الفوارق في المعاملات وفي جميع المجالات .. وضرب لذلك أمثلة منها :

● الوظائف .. حيث تحرم على المسلمين في بعضها مهما كانت درجة المسلم العلمية .. ومهما كان تفوقه على المسيحي .

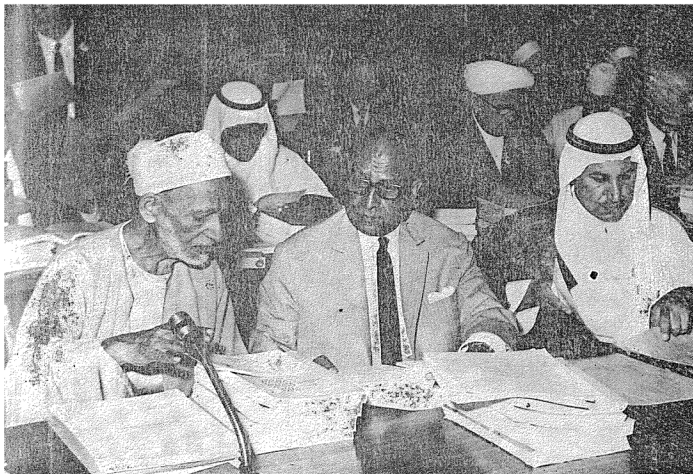
● التعليم .. توجد عقبات أمام المسلمين في الالتحاق بالمدارس .. وان يسر بعضها فيطلب منه الخروج على دينه .. أو يحرم عليه تعليم دينه .

● والسياسة .. غير مسموح لهم بالتمثيل السياسي .. بل يمثلهم مسيحيون .

● والعمل في القطاعين العام والخاص .. ضيق أمام المسلمين .. وهناك مجالات مغلقة تماما دونهم كالجيش والبوليس .

وكلمتان

وبعد ذلك كانت هناك كلمتان هامتان في مجال مشاكل المسلمين الاولى قالها معالي الاستاذ راشد الفرخان وزير الاوقاف الكويتي .. فذكر موقف الاحزاب ذات العقائد من أحزابهم وموقف المسلمين من دينهم .. وشرح بالتفصيل إمكانية المسلمين في التصدي لخصوم دينهم .. ماديا .. ومعنويا وسياسيا .. لاننا ١/٣ سكان العالم .. وتحت يدنا ثروات هائلة وينسب كبرى .. ثم عرض معاليه .. عدة اقتراحات منها ..
● وضع دراسة شاملة للهيئات



الشيخ حسين مخلوف والأستاذ راشد الفرهان ود. عثمان خليل عثمان .

والحكم الشرعى يتعلق بأفعال العباد .. والثانى .. انها معاملة من قبيل القراض وانتهى الشيخ يس الى جواز أخذ أرباح شهادات الاستثمار وودائع صناديق الادخار شرعا سواء كانت قراضا أو من قبيل المسكوت عنه .

معارضة عنيفة

وبعد ذلك .. وعلى مدى ٣ جلسات قامت مناقشات حول هذه الآراء اشترك فيها عدد كبير من الأعضاء معارضين ومدللين بآراء الفقهاء .. وبالكتاب والسنة .. وانتهى الراى .. الى عرض بحثى الشيخين الخفيف وسويلم على اللجنة لبدء رأيها فيها قبل اعلانها .

وعن الحريات

وعن الحريات فى الاسلام قديم الدكتور بدوى عبداللطيف مدير جامعة الازهر بحثا قيما توصل فيه .. الى ان الاسلام

ملك لصاحبه وللدولة أن تقوم بعملية الاستثمار ولها كذلك الحق فى إعطاء الجوائز واستند فى آرائه على مذهب الامام مالك ثم قال وليس لهذا شبهة بعقد قراضى وهذا بالنسبة لشهادات استثمار ج .. أما شهادات استثمار أ ، ب فيلاحظ أن لهما شبهة بعقد القراض ولكن ذلك لا يحظره وانما يحظره وجود نص من أمور الدين يمنعه ولم أجد ذلك ..

وانتهى الشيخ الخفيف رأيه الى أن عقد الاستثمار ليس فيه ربا ولا شبهة ربا قطعا غالبا لا يكون الاغى معاوضة أخذ فيها المال بقرض وهذا العقد لا غرر فيه اطلاقا .

● وأما الشيخ يس سويلم فقد رأى أن شهادات الاستثمار وودائع صناديق التوفير تقوم العلاقة فيها على وجهين الاول .. انها معاملة لم تكن موجودة فى عصر التشريع الاول .. ولا عبرة بكون الربح معلوما ..

● تدعيم المدارس الاسلامية فى افريقيا وآسيا .

قبل القرارات

هذه هى ملامح مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة والظاهرة الجديدة فى اجتماعاته .. والتسى حضرها عدد كبير من العلماء وأساتذة الجامعات .

و .. شىء آخر .. برز فى هذا المؤتمر .. هو شخصيات جديدة من العالم .

وبعد ذلك .. صدرت القرارات وأهمها ..

● يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين لايجوز أن يتخلف عنه من ينتسب الى هذا الدين القيم .

● كما يوصى المؤتمر جميع الحكومات الحليفة بفلسطين بمضاعفة اعدادها لمقاومة العدوان .

● ويوصى الحكومات الاسلامية بمد العون المادى والادبى للعمل الفدائى .

● ويوصى الحكومات والشعوب والهيئات الاسلامية بالتوسع فى انشاء المراكز الثقافية فى المجتمعات التى تحتاج اليها لارشاد المسلمين .. و .. التوسع فى المنح الدراسية لابناء المجتمعات الاسلامية .

و .. تطوير اساليب الدعوة .
و .. انشاء منصب ملحق اسلامى و .. تميم التربية الدينية بالمدارس .

و .. انشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

● ويوصى المؤتمر الجامعات بالاهتمام بتدريس الاقتصاد الاسلامى وانشاء كراسى استاذية له .

● ويوصى المؤتمر القائمين على مشروع البنك الاسلامى بالاسراع بانشائه .

وقد اعطى للفرد حريته السياسية والفكرية والدينية فانه بذلك يكون خير نظام للكون .. لانه وضع نظاما للعالم فى جميع المجالات .. وفى كل الظروف .

والدعوة الاسلامية

وعن الدعوة الاسلامية .. وما تعانیه وما تلاقيه .. ودور الاستعمار فى محاربتها بمعاونة التبشير كان امام المؤتمر بحثان ..

● الاول للشيخ محمود صبحى امين عام جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا عرض فيه للكيان الاسلامى ومعناه - والدار فى الاسلام ووجوب حمايتها فى اطار الوحدة - والاسباب التى مهدت وتمهد فى تمكين الاستعمار من تمزق الكيان الاسلامى - ووسائل تسليح المسلم لمواجهة هذه الاخطار وانتهى الى ضرورة الاخذ بالآتى :

● اسلامية الدراسات والابحاث فى الجامعات والمناقشات التى تدور فى المؤتمرات .

● العمل على تماسك العالم الاسلامى ووحدته .

● مواجهة الصادقة للمبشرين والمستشرقين .

● اصدار سلسلة من الكتب والمقالات توضح مفاهيم الملل والنحل .

● حل المسائل الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

● المسيرة بهدى المعرفة والعلم .
● والبحث الثانى للاستاذ شعبان سالم درامى عن مواجهة الاخطار التى تعانى منها الدعوة الاسلامية .. فشرح دور الاستعمار والتبشير فى افريقيا وقدم ١٥ اقتراحا لمواجهة هذا الخطر منها :

● تميم مراكز الثقافة الاسلامية
● العناية بالمؤلفات الاسلامية
● عقد المؤتمرات الاسلامية فى عواصم العالم الاسلامى .
● العناية بالدعاة .



مكتبة المجلة

موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية
(الجزء السادس)

تأليف الأستاذ الدكتور أحمد شلبى

يتبع هذا الجزء من الموسوعة تاريخ القارة الافريقية قبل أن يدخلها الاسلام . ثم طرق ووسائل انتشار الاسلام بها ، والدول الإسلامية جنوب الصحراء الافريقية (مالى ، وصنقى ، والهوسا ، وبرنو وكانم) وغيرها ، قبل الاستعمار الأوروبى . ثم الصراع بين الاسلام والاستعمار الأوروبى وقضايا هذا الصراع وأساليبه .

وتتناول هذه الدراسات كذلك الدول الاسلامية جنوب الصحراء الافريقية بعد زوال الاستعمار ، وعديدا من الدراسات المتعلقة بافريقية الاسلامية ، كحضارة الاسلام فى هذه القارة ، ومستقبل الاسلام بها ، والمستقبل الذى ينتظر الدول الاسلامية الافريقية فى ظل الصراع العالمى .

ويطرح الكتاب قضية « التاريخ الإسلامى » من وجهة نظر جديدة تتمثل فى دراسة الدول الاسلامية غير العربية التى أهملت العناية بها من قبل كثير من دارسى التاريخ الإسلامى ، وهو مفيد لكل باحث فى التاريخ الإسلامى ، ويعتبر مرجعا للمهتمين بالدراسات الافريقية وحاضر الاسلام بافريقيا .
والكتاب يقع فى سبعمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وقد نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

دراسات فى مذاهب فلاسفة المشرق

تتمثل أهمية هذا الكتاب فى دراسة عديد من مذاهب فلاسفة المشرق العربى على ضوء منهج جديد يقوم على النقد والتحليل ويدعو اليه مؤلف الكتاب الدكتور محمد عاطف العراق لأول مرة فى تاريخ الدراسات الفلسفية العربية . وبعد تصدير يكشف المؤلف فيه عن دعائم المنهج الجديد الذى يدعو الى اتباعه يحلل الكتاب مجموعة من آراء ابن سينا حول المعادن والنبات والحيوان والنفس والانسانية .

وأخيرا يبين المؤلف فى دراسته لآراء الغزالى حول العلم الالهى والخلود أن الغزالى كان أقرب الى المتكلمين الأشاعرة منه الى الفلاسفة .
فهذا الكتاب لا يقتصر على العرض الموضوعى لهذه المسائل بل يقدم محاولة ذاتية وتفسيرا جديداً القصد منهما احياء التراث العربى واعادة كتابة تاريخ الفلسفة عند العرب من جديد .

والكتاب يحتوى على (٢٧٠) صفحة ومن نشر دار المعارف بمصر — القاهرة .

نظرية الاسلام الاقتصادية

كتاب من تأليف الأستاذ عبد السميع المصرى يبين فيه رأى الاسلام فى الاقتصاد وفيما استجد من معاملات اقتصادية حديثة كما تحدث عن الضرائب فى الاسلام وخصص باباً للربا . و الكتاب فى موضوعه دراسة شاملة لتوجيهات الاسلام فى الناحية الاقتصادية وهى موضوع اختصه الاسلام بناية كبيرة لأن المال كما يقال عصب الحياة .
يقع الكتاب فى (٢٤٦) صفحة ومن نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

مذهب ابن عباس فى الربا

الكتاب الثانى من سلسلة كتب بناء الاقتصاد فى الاسلام من تأليف فضيلة الأستاذ الشيخ زيدان ابو المكارم والكتاب يبحث فى مسائل كثيرة منها مذاهب فقهاء السنة والشيعة فى الربا . والربا فى المستوى المالى ، والتخطيط للقضاء على الربا ، والتمهنة لبدء عهد العدالة ، وتحريم الربا ، والكتاب يقع فى ١١٥ صفحة ، ويطلب من دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية — بالقاهرة .

الدين الحق

فى الرد على كتاب (بيان الحق)

ظهرت فى العالم العربى والاسلامى هذه الايام ظاهرة ملفتة للنظر وهى الهجوم على الاسلام أو الدعوة الى توهين العقيدة الاسلامية والغريب فى هذا الامر أن يقوم به مواطنون من داخل هذه الدول نفسها سواء اكانوا مسلمين أو غير مسلمين ينادون بدعاوى فجحة وأمور مبتدعة وينقلونها عن بعض المستشرقين والحاقدين على الاسلام ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم يقصد اضعاف الاسلام والتشكيك فيه ومن الكتب التى ظهرت مؤخراً (بيان الحق) ادعى فيه مؤلفه أن القرآن الكريم اقتبس الكثير من الكتب السابقة وقد أورد الامثلة الكثيرة على هذا مما دفع الكاتب الأستاذ توفيق على وهبه من تأليف كتابه (الدين الحق) ردا واضحا بالادلة والبراهين على هذه المقترحات والاكاذيب بعد أن تحدث عن حرية الرأى فى الاسلام وكيف يصبح الرأى جريمة ثم عن القرآن والانجيل معرفا ومقارنا .
والكتاب يحتوى تقريبا على مائة صفحة وما زال تحت الطبع .

مع الأيسام

ديوان شعر للشاعر الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد الحافظ يحتوى على العديد من القصائد السياسية والقومية والعاطفية وخواطر خاصة بالشاعر استوحاها من خلال رحلاته عبر البلاد العربية بجانب قصائد المناسبات التاريخية والدينية والديوان يقع فى ١٢٠ صفحة من طبع مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة — ٣ شارع الجد — بالقاهرة .

مائة الهارجي

حجاج بيت الله الحرام

بلغ مجموع الحجاج الذين وقفوا بعرفة في العام الماضي (١٠٠٠٠٠٠٠) حاججا منهم (٣٥٣٤٨٠) سعودي و (٦٨٨٥٤٧) غير سعودي بين مقيم في المملكة ووافدين من الخارج .

رزق مضمون

تزوج مفن بنائحة فسمعها تقول :
اللهم وسع لنا في الرزق .
فقال لها : يا هذه انما الدنيا فرح
وحزن وقد أخذنا بطرفي ذلك ، فان
كان فرح دعوني ، وان كان حزن
دعوك .

كل هذا .. العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل
فقال : رأس الأشياء . فيه قوامها .
وبه تمامها . وهو سراج ما بطن .
وملاك ما علن . وسائس الجد .
وزينة كل أحد . لا تستقيم الحياة الا
به . ولا تدور الامور الا عليه .

عندما يذهب الصدر ويبقى المجز

عاد أبو الحسين بن برهان رجلا مريضا فقال له : ما علتك ، قال :
وجع الركبتين .
فقال : والله لقد قال جرير بيتا ذهب منى صدره وبقي عجزه وهو
وليس لداء الركبتين طبيب .
فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت
عجزه .

من أحق بالسؤال ؟

وقف سائل اعطى على باب فقالوا افتح الله عليك . فقال : كسرة ، فقالوا : ما نقدر عليها . فقال : قليل من غول او شعير . قالوا : لا نقدر عليه ، قال : فقليل من زيت او لبن . قالوا : لا نجده . قال : فشرية ماء . قالوا : وليس عندنا ماء . قال : فما جلوسكم هنا . قوموا فاسالوا فانتم احق منى بالسؤال .

تربية ..

ناولت اعرابية ولدها سيفا فراه
تصيرا فقال : « انه سيف قصير »
فقال : « تقدم خطوة فيطول » .

♦ ♦ ————— ♦ ♦

اللذة الدائمة

إذا تعبت في البر فان التعب يزول
والبر يبقى .
وإذا تلذذت في الاثم فان اللذة
تزول والاثم يبقى .

لا تشاؤم

قيل ان المنصور بن ابي عامر الاندلسي كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع ، فاتفق انه في بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وارباب الدولة ، فرجع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد الزيت فغطير الحاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور ، فقال رجل : ابشر يا امير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة ، فقد بلغت اعلامك الثريا ، وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة ، فاستحسن المنصور ذلك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من ابرك الغزوات .

ان لم يكن عقل وادب .. فصاعقة

قال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد .
قال عقل يعيش به . قال فان عدمه . قال : ادب يستره . قال : فان عدمه .
قال : فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد .

البخل فنون

حكى عن بعض البخلاء انه حلف يوما على صديقه واحضر له خبزا وجبنا وقال له : لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم . فقال له ضيفه : انا اجعله بدرهم ونصف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن .

الفتاوى

فى الطلاق

السؤال

قال الزوج لزوجته — على الطلاق منك ما تدخلى بيتى شافعى ومالكى وأبو حنيفة وتكونى زى أمى وأختى ، فهل يقع الطلاق أم لا ؟..؟

.....

الإجابة :

اللفظ المذكور هو يمين طلاق وفيه تعليق . ويمين الطلاق المعلق هو الذى يقصد به اثبات شىء أو نفيه أو الحث على فعل شىء أو تركه ، وفيه أقوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه (اغائة اللهنان ص ٢٦٥ — ٢٦٧) وملخصها هو —

١ — أنه لا ينعقد ولا يجب فيه شىء وعليه أكثر أهل الظاهر لان الطلاق عندهم لا يقبل التعليق كالنكاح وعليه من أصحاب الشافعى أبو عبد الرحمن .

٢ — أنه لغو وليس بشىء وصح ذلك عن طاووس وعكرمة .

٣ — لا يقع الطلاق المحلوف به ، ويلزمه كفارة يمين اذا حنث فيه ، وبه قال ابن عمر وابن عباس وغيرهما .

٤ — الفرق بين أن يحلف على فعل امراته أو على فعل نفسه أو على فعل غير الزوجة ، فيقول لامراته ، ان خرجت من الدار غائت طالق فلا يقع عليه الطلاق بفعلها ذلك . وان حلف على نفسه أو غير امراته وحنث لزمه الطلاق ، وبه قال أشهب من المالكية .

٥ — الفرق بين الحلف بصيغة الشرط والجزاء ، وبين الحلف بصيغة الالتزام ، فالاول كقوله ان فعلت كذا غائت طالق ، والثانى كقوله : الطلاق يلزمنى أو على الطلاق ان فعلت فلا يلزمه الطلاق فى هذا القسم ان حنث دون الاول ، وهذا أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب الشافعى ، والمنقول عن أبى حنيفة .

سجدة التلاوة

السؤال :

عند استماع القرآن الكريم من الاذاعة يمر القارئ على آية سجدة ، فهل على المستمع أن يسجد سجدة التلاوة ؟..؟

.....

الإجابة :

نعم . يسن لمستمع القرآن اذا سمع اية سجدة . وكان متوضعا ان يسجد سواء كان استماعه من الاذاعة أم غيرها ، وهذا رأى الشافعية . وأما المالكية فعلى أنه لا يسجد على المستمع الا اذا سجد القارئ ، وحيث أن القارئ لم يسجد فلا يسجد المستمع .

فى الزواج

السؤال :

رجل طلق زوجته وقد أنجب منها بنتا تم تزوجت هذه المرأة من آخر وأنجب منه ولدا ، والرجل المطلق تزوج باخرى ، وأنجب منها بنتا ، فهل يجوز لهذا المولد أن يتزوج بهذه البنت ؟..

.....

الإجابة :

حيث أن هذه البنت ليست اختا لهذا الولد من النسب او من الرضاع ، فانه يحل زواجه بها .

فى الاذان

السؤال :

هل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عقب الأذان صحيحة ، وما الدليل ؟

.....

الإجابة :

الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الاذان سنة لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » الحديث ، والواجب أن لا يرفع المؤذن بها صوته لأنها ليست جزءا من الأذان ، بل هى سنة من سنته بدليل قوله (فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على) اذ لو كانت من الأذان لكانت صلى الله عليه وسلم بقوله (فقولوا مثل ما يقول) .

فى الصلاة

السؤال :

هل ختم الصلاة جهرا فى المسجد عقب الصلاة جائز ؟

.....

الإجابة :

ختم الصلاة من كمال الصلاة ، والواجب فيه أن يكون سرا حسرا من التشويش على الحلى اذ التشويش عليه حرام ولو بالقراءة لقوله صلى الله عليه وسلم (الا إن كلكم مناج ربه فلا يؤذنين بعضكم بعضا ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة) .

شهادات الاستثمار

السؤال :

ما رأى الشرع فى الشهادات التى لم تعلن عنها المصارف ، وهو أن المواطن يضع مبلغا من الجنيهات فان أصابته القرعة كسب وأن لم تصبه يسحب ماله بالكامل ؟

.....

الإجابة :

كل معاملة تخرج عما حدده الشارع حرام لا يسوغ الإقدام عليها ، والمعامل مع البنك يدفع مبلغا من ماله نظير فائدة محددة ، ثم يحصل على شهادة منه فان أصابته القرعة أخذ ما حدده البنك من الجوائز المعلومة ، والا فلا ، وهذه المعاملة باطلة لانها كالقرض الذى جر نفعا للمقرض ، وهو ربا اذ لو لم يكن كذلك لما أقدم المتعامل مع البنك عليه ، فالذى حمله على الإقدام انما هو الربح المحدد المنتظر ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فالجوائز التى يصرفها البنك لصاحب الحظ انما هى من باب المقامرة .

فى الصلاة

السؤال :

إمام يصلى بالناس من اول البقرة الى آخر جزء عم فى الصلاة الجهرية ، بحيث لا يطيل عليهم الصلاة ، ولم يجد من يتألم من هذه الصلاة ، فهل فى هذه الصلاة مخالفة ؟

.....

الإجابة :

ليس فيها مخالفة للسنة حيث أن المأمومين راضون بطول الصلاة بل غى هذه الصلاة خير كثير ، اذ يقرأ فيها القرآن كله على مراحل ، وغى هذا ما غيه من كثرة الفوائد الدينية للإمام والمأموم .

قضاء الصوم

السؤال :

لم اصم من البلوغ الى سن العشرين وعلى قضاء ما فاتنى ، ولكنى الآن فى منتصف العمر ، واجد مشقة لقضاء هذه المدة فماذا افعل ؟

.....

الإجابة :

اقض ما تستطيع وافد بالصدقة على ما لا تستطيع ، وتب الى الله ، واستغفره فانه غفار ودو رحمة واسعة .

الوعي الإسلامي

بربر

اعداد : عبد الحميد رياض

ترتيب المصحف

لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ثلاث وعشرين سنة ، شاملا كل النهج الإسلامي القويم ، أخذاً بمبدأ التدرج في تطبيق أحكامه ، وموافقا لكل الأحداث والمواقف التي عاشها النبي الكريم حسب تسلسل وقوعها .

فلماذا إذن لم تنسخ المصاحف حسب تسلسل نزول القرآن الكريم ؟
أرجو أن أقرأ رديكم على صفحات مجلتنا الفراء (الوعي الإسلامي) .

محمد حسان - رمل الاسكندرية - مصر

هناك امران هامان يجب الحديث عنهما كل على حدة ، خصوصاً وأن السؤال الوارد يحتلها معاً ، هما ترتيب آيات القرآن كله ، وترتيب سورة .
أما ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه في المصاحف ، ونقرأه اليوم ، وقرأه سلفنا بهذا الترتيب الذي لم يتخلف طوال القرون الماضية من تاريخنا الإسلامي ، فذلك ترتيب توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد انعقد إجماع الأمة عليه ولا مجال للرأى والاجتهاد فيه ، وذلك ثابت حيث أن جبريل عندما كان ينزل بالآية على النبي كان يرشده الى موضعها من السورة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأها على أصحابه ، ثم يأمر كتاب الوحي بكتابتها في مكانها من السورة المعينة ، ولقد ثبت بها لا يدع مجالاً للشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن مراراً بهذا الترتيب في صلواته وعظاته وكان يعارض به جبريل كل عام مرة ، وفي العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم عارضه مرتين ، وقد حفظ الصحابة القرآن مرتب الآيات ، وشاع ذلك وبالأكل البقاع ، ولم يرد أن أى صحابى ولا حتى الخلفاء الراشدين كان لهم رأى في ترتيب أو تغيير أو تقديم آية على أخرى ، وعندما فكر الصحابة في جمع المصحف في خلافة سيدنا أبى بكر الصديق لم يتجاوز ذلك نقله من العسب واللخاف في صحف ثم كان النقل في خلافة سيدنا عثمان من المصحف الى مصحف .
أخرج البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : « الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا » نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها (والمعنى لماذا تكتبها » أو قال لماذا تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة ») قال يا ابن أخى لا أغير شيئاً من مكانه .

أما ترتيب السور فهناك أقوال ثلاثة في هذا .

القول الأول : أنها بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم شأنها في ذلك شأن ترتيب الآيات ، وقد أجمع الصحابة على مصحف سيدنا عثمان ، وهو الترتيب الحالى للمصحف المتداول المقروء به في كل البلاد الإسلامية ولم يخالفه أحد .
وأيد أبو بكر الأنبارى هذا الرأى بقوله « أنزل الله القرآن الى سماء الدنيا ، ثم فرقه في بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر لحدث ، والآية جواباً لمستخبر ، ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآيات والحروف ، فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن » .

والقول الثانى : أن ترتيب السور على ما هو عليه كان باجتهاد من الصحابة ، ولم يكن بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك مبنى على ما

روى من أن مصاحف الصحابة قبل أن يجمع سيدنا عثمان المسلمين على مصحف واحد ، كانت مختلفة الترتيب ، ولو كان ذلك الترتيب منقولاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ساغ لهم أن يختلفوا ، فقد كان مصحف أبي بن كعب مبدوءاً « بالفاتحة » ، ثم « البقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ثم « الأنعام » ، ومصحف ابن مسعود مبدوء « بالبقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ، ومصحف علي كان مرتباً حسب النزول فأوله « اقرا » ثم « المائدة » ثم « ق » ثم « المزمل » ثم « تبت » ثم « التكاثر » وهكذا ..

والقول الثالث : ترتيب السور كان بعضه بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وبعضه الآخر باجتهاد الصحابة .

وقد وضح الآن أن المصحف بشكله الحالي سواء كان ترتيب سورته بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة يجب أن يلاحظ أن هذا الترتيب واجب الاحترام والاتباع لأن إجماع الصحابة حجة ، ولأن مخالفة هذا الإجماع تجر إلى الفتنة ، ولا مجال للرأى والاجتهاد ، فعمل الصحابة وإجماعهم وإقرارهم مصحف سيدنا عثمان اعتراف منهم بأن ذلك عمل مشروع .

خطا شائع

وقد وردت للمجلة هذه الرسالة :

قرأت في العدد الثامن والثمانين ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ الموافق ١٤ أيار ٧٢ من مجلة (الوعي الإسلامي) الغراء مقالاً بعنوان (لغة القرآن) وقد جاء في مقال الكاتب عبارة دقيقة استوقفتني تستحق التعقيب والرد حيث انبهم المعنى لا بل انقلب الى معنى آخر .

يقول الأستاذ على الصفحة الخامسة عشرة من المجلة (وأعانها قبل كل ذلك ويعد كل ذلك وأكثر من ذلك نفوس العرب والمسلمين التي دب إليها الوهن ، وإيتليت بحب الدنيا ، واستبدلت الذي هو خير بالذي أدنى .. » ولو قال — استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير لاستقام المعنى الذي ذهب إليه ، ذلك أن أفعال الاستبدال ، وما يصرف منها يحتاج معمولها إلى شيئين مستبدل ومستبدل به أو إلى مأخوذ ومترك ، وفي أحدهما باء الجر ، وحكم هذه الباء متى وجدت أنها لا تدخل إلا على مترك . وهذه القاعدة لدقتها ربما كبا فيها حذاق اللغة وعماقتها وحاملو لوائها ، فهذا أمير البيان (شوقي) يتعثر في بيت من الشعر ويقلب معناه رأساً على عقب حين يقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا **لم أجد لي وأفيا إلا الكتابا**
أنا من بدل بالصحب الكتابا **لم أجد لي وأفيا إلا الكتابا**
لاستقام المعنى وضح التعبير .

ودلينا على هذه القاعدة الآيات القرآنية التالية ، والتي هي كل ما ورد في القرآن الكريم من آيات الاستبدال مقروناً بالباء .

- ١ — « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل » .. سورة سبأ .
 - ٢ — « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » .. سورة الأحزاب .
 - ٣ — « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب » .. سورة النساء .
 - ٤ — « ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » .. سورة البقرة .
 - ٥ — « قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير » .. سورة البقرة .
- إنني أستطيع كاتب المقال عذراً لهذا التعقيب ، فما أردت من ذلك إلا النفع والمصلحة العامة لا سيما وأن المقال يعالج مسألة تتعلق باللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم .

محمد خلد — عمان — الأردن

بأقلام القراء

إعداد : فهى الإمام

« الكفاءة »

جاعنى صديقى « السنغالى » منفعلا وقال :
اليس فى كتاب الله « إنما المؤمنون أخوة » ؟!

قلت : بلى ..

قال : ألم يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب
لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ؟!

قلت : بلى ..

قال : فلم هذه التفرقة العنصرية فى كتب الفقه .. ثم نهض وأخرج كتابا
فى فقه المعاملات وأسمعى أقوال العلماء فى مسألة « الكفاءة » وكان هفساك
شبه اجماع على نقطة هى :

« الناس قسمان : عرب وعجم ، والعجمى ليس كفاءا للعربية على أى حال
والعرب قسمان : قرشيون وغيرهم ، والعربى من غير قرشى ليس كفاءا للقرشية
على أى حال » .

قلت : هون على نفسك وسأضع أمامك بعض الحقائق :

أولا : الإسلام دين عالمى يتخطى حجب الزمان والمكان وشعاره :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا
إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس
منا من مات على عصبية » .

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد وضعت فى المادة الأولى من إعلان حقوق
الإنسان : أن الناس ولدوا أحرارا متساوين فى الحقوق ، فذلك قوله إسلامية
عمرية أعلنها الفاروق قبلها بمئذنة قرون حين قال : متى استعبدتم الناس وقد
ولدتهم أمهاتهم أحرارا ..

ثانيا : إن مناهج الكرامة الشخصية فى الإسلام هو الدين ليس غير .. والقول
بخلاف ذلك مصادمة للنص والواقع التاريخى .. فلقد كان أول مؤذن فى الإسلام
عبدا أسود هو بلال الحبشى ، وقد اعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام مسلما
الفارسى من آل بيت النبوة .. وفى مقابلة ذلك فإن القرآن يتلى على سماع الزمان
إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بقوله :

« ثبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيعلى نارا ذات لهب . وامراته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » .
وأبو لهب هذا قرشى من خير بطونها نسبا وهو عم الرسول .. !!

ثالثا : إن زيد بن حارثة وهو رقيق معتق قد زوجه الرسول بشريفة هى زينب بنت جحش .. ولهذا الزواج حكم منها :

أ — إبطال عادة التبني عملا بعد بطلانها قولاً فى آية « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله .. » فلقد تزوجها الرسول بعد طلاقها من زيد « كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » .

ب — تحطيم عنصرية النسب واستعلاء العرق والاعلان العملى بأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. .

ج — القضاء على عادة جاهلية وهى ان الشريفة إذا تزوجت برقيق ثم طلقت لا يرغب فيها شريف آخر .. فلقد تزوجت زينب بعد طلاق زيد لها بأشرف خلق الله جميعا ..

رابعا : إن من مشاهير الصحابة بلالا الحبشى وصهيبا الرومى وسلمان الفارسى ..

وإن من خيار التابعين الحسن البصرى وسعيد بن المسيب ..
وإن أعلام الأئمة الذين خدموا العلم واللغة وحفظوا للأمة الإسلامية تراثها الخالد — أكثرهم من العجم مثل : أبى حنيفة النعمان ، والزمخشري جار الله ، وسيبويه وابن فارس ، والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، والمعلم الثانى الفارابى ، والشيخ الرئيس ابن سينا وحجة الاسلام الغزالى .. الخ .

إن كل واحد من هؤلاء كفاء وإى كفاء لكل امرأة عربية أو قرشسية .. ولا ينكر فضلهم وشرفهم وعلو مكانتهم وسمو منزلتهم إلا حاقط بغيض ..

ومن عجب أن ينسب مثل هذا القول إلى إنسان مثل أبى حنيفة وهو أعجمى فهل كان يرى نفسه غير كفاء لامرأة عربية ؟ !!

خامسا : بماذا نعلل — إذن — هذه الشروط التى وضعت لكفاءة الزواج ؟
وأقول على الفور :

إن موضوع الكفاءة فى الزواج هو موضوع عرفى ليس للإسلام فيه نصيب .. على معنى أن عرف الناس جرى بذلك وأن الأئمة رضوان الله عليهم قالوا به حفاظا على دوام العشرة بين الزوجين ومنعا للشقاق بينهما وحتى يكون ذلك ادعى للوفاق وتقارب الزوجين ..

ولا يمكن أن نفهم أن هذا شرع ندين الله عليه نائم بتركه ونثاب بفعله بل الأمر كله متروك للرغبات النفسية للزوجين ولا يستطيع إنسان ما أن يكره آخر على الزواج من امرأة ينفر منها أو تنفر منه مهما كانت الظروف ومهمها كانت الدوافع .. وهو أن فعل هذا — مدين شرعا وعرفا وقانونا .. فالحياة الزوجية لا تقوم على القسر وإنما هى مودة ورحمة ، وسكينة وطمانينة .. فان وصلنا الى الحال التى وصفتها المرأة للرسول صلى الله عليه وسلم بقولها « إنى أكره الكفر

فى الاسلام » أى أنها تبهض زوجها ولا تستطيع أداء حقوقه الزوجية التى شرعها الله — إن وصلنا الى تلك الحال ابتداء أو انتهاء فالأمر معروف ومحدد فى قوله تعالى :

« وإن يفرقا يغن الله كلا من سمته » .

محمد سيد أحمد المسير

الشذائد تكون الأمم وتصنع الرجال

كتب الأستاذ كتمان ابراهيم الجبيلى تحت هذا العنوان يقول : —

لقد كانت الأمة العربية منزوية فى جزيرتها غارقة فى ضلالها تسودها الفتن وتلمع بها الأهواء ذليلة لا شأن لها ولا سلطان ، يتكالب عليها الأعداء من الفرس والروم وغيرهم فأعزها الله بالدين الإسلامى على يد زعيم هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى وحد كلمتها على أساس من الايمان بالله والأخوة والمحبة فى سبيل الله . فاجتمع شملها وتوحدت كلمتها فتكونت منها قوة نشرت العدل والمساواة والطمانينة نشرت تعاليم الاسلام والدعوة الى الحق والهداية فى جميع أرجاء الجزيرة العربية حيث كان من رجالاتها عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب فى الشجاعة والحزم درجة لا تطاق وكان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان فى الكرم والتضحية وبذل المال ، وكان سلمان الفارسى وبلال الحبشى فى الصبر والثبات وقوة الايمان والارادة .

ولم تلبث هذه الأمة طويلا حتى امتد سلطانها واتسع نفوذها فدخلت تحت سيادتها أمم وشعوب آمنت بالله واستجابت لدعوة الاسلام دعوة الحق والنور . واستمرت على هذه الحالة حتى انخفضت حرارة الايمان وضعف سلطانها فبدأ الضعف يتسرب الى كيائها حيث أخذت الأهواء والنزعات تعمل عملها وبدأ الحقد والكراهية يدب بين صفوفها فافترق أبنائها وتقاتلوا بينهم حتى ابتلاهم الله بالحمالات الصليبية على بلادهم حيث احتل الصليبيون أجزاء كبيرة من بلاد الشام ومنها بيت المقدس فلم تسكت هذه الأمة على هذا البلاء ولم تستكن . ولكن جاهدت وناضلت رغم المصاعب والعقبات حتى استطاعت أن تحرر بلادها ، ومن ثم أعادت لنفسها العزة والكرامة على يد أبنائها المخلصين أمثال (صلاح الدين الأيوبي) . وليس العدوان الاسرائيلى الأخير الا موجة من الموجات العاتية التى استهدفت كيان هذه الأمة ووجودها ودينها . وكانت أمنا تواجه الفتن والعدوان بايمان صادق ، ووحدة متماسكة ، وكانت تستفيد من الهزائم والتفككات كما تستفيد من الغلب والانتصارات . فكانت تصحح أخطاءها وتعالج عيوبها وتعد وتستعد لنيل النصر ولهزيمة المعتدين وسرعان ماخرج من الشذائد والحقن كأتوى ما تكون ايماننا وصلابة بحقها . فقد كان أسلافنا يستفيدون من الشذائد والنكبات فكانوا (اذا انتصروا شكروا ، واذا انهزموا اتعظوا واعتبروا) .



قالت صحف العالم

ان الدين عند الله الاسلام

الاسلام هو دين الله الذى نزل من السماء ليصلح الارض ، ويربط العالم ببعضه ببعض ، ويوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق على أساس العقيدة الصافية ، والمعبادة الهادية ، ويوثق العلاقة بين المخلوق والمخلوق على أساس العدالة الكاملة ، والرحمة الشاملة ، والمعاملة الكريمة والسياسة الرحيمة . هذا هو الاسلام فى اجمال ، وتوضيحا لذلك أقول والله المستعان :

عن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة :

دعانا الاسلام الى أن نؤمن بالله ايمانا صادقا ، ونوحده توحيدا خالصا ، وذكرنا بأن الله وحده هو الذى خلقنا ومسوانا ، ومنحنا حواسنا وقوانا ، وأنعم علينا بنعمه التى لا تحصى ، وغمرنا بفضله ، وعما بكرمه ، وشملنا بلطفه ، ووسعنا بطمه فهو يعلم ما نخفيه كما يعلم ما نبذله . قال تعالى : « أمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لفتور رحيم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » .

ودعانا الى الإيمان برسئل الله الذين اختارهم المولى ليكونوا دعاة له ، وهداة لخلقهم ، وقادة لهم ، وحجة عليهم ، قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » وقال : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ودعانا الى الإيمان بالبعث والحساب والجزاء لتتوكل كل نفس ما كسبت ، ويتلقى المحسن اجر احسانه ، ويأخذ المعتدى عقاب عدوانه فلا يتساوى بار كريمة ، ومجرم أثيم . قال تعالى « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لا ترجعون » . وقال تعالى « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » .

هذه العقائد الثلاث التى دعا اليها الاسلام عقائد متماسكة متلازمة لها اثرها العميق فى تهذيب الانسان واعلاء شأنه .

فمفيدة التوحيد تحمل فى طواياها الاعتراف بالكمال المطلق لبارئ الكون وترفع شأن الانسان الى المستوى الذى يليق به فلا تهبط بعقله الى قبول عقائد خرافية ووثنية ولا تدفعه الى الذلة أمام مخلوق من المخلوقات صغر أم كبر ، عظم أم هوان وهذا هو السر فى قوله تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وعقيدة التوحيد أيضا تولد لدى المسلمين شمورا واحدا بأنهم جبيما عبيد لرب واحد لا يفاضلون عنده الا بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : « ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وفى ظلال هذه العقيدة لا يتمالى أحد على أحد ويتنافس الناس جميعا فى اعمال البر ، وطرق ابواب الخير والإيمان برسئل الله ، يحمل فى طواياه الإيمان بحكمة الله ، فحكيمه سبحانه تائب أن يوجد الانسان ويتركه مسدى ويدعه هملأ ، ويحاسبه ويعاقبه دون أن يقيم عليه الحجة .

الإيمان برسئل الله يقتضى الإيمان بما جاؤوا به وما جاؤوا الا بالخير الممب ، والصراط المستقيم والنظام التسليم الذى يضمن سعادة الفرد والمجتمع .

الإيمان برسئل الله يبعث الإيمان بالله ، ويدعو الى تزكية المولى عن الميت والظلم والمفسه ، ويضع أمام الناس مثلا بشريا ، عالية يحذونها ويقتدون بها ، ويسيروا على منهاجها فى مراقبة الله ، والإحسان الى الناس دون انتظار اجر منهم .

والإيمان باليوم الآخر وما فيه من يمت وحساب وجزاء من شأنه أن يزكى نفس الإنسان ويدفعه إلى عمل الخيرات وترك المنكرات والبعد عن التناقض والشبهات .
هذه العقائد الثلاث من شأنها أن تعين في إيجاد الإنسان الفاضل ، والمجتمع الفاضل ، والدولة الفاضلة .

وفروع الإسلام وشرائعه تهدف إلى ما تهدف إليه أصوله ، وتعمل على تحقيق الغاية التي ترمى إليها عقائده فالحسنة والصيام والزكاة والحج وبقية ما أمر به الشارع تجمع بين حق الله وحق الإنسان ، وغيبا منافع للناس يشهدونها ويلبسون آثارها في حياتهم ، إلى جانب كونها عبادة لربهم وطاعة لخالقهم .

ومن ينظر في شريعة الإسلام يجدها كافية وأقية شافية ، جاءت بما فيه كمال الروح والبدن وصالح الفرد والأمة وهناءة العالم بأسره فأقامت البرهان على أن الإسلام دين إنساني عالمي وأقوى نزل من السماء ليحكم الأرض وليبلاها عدلا وسلاما ، ومحبة ووفاء ، ورغشاء ورفاهية ولأن الإسلام دين وأقوى التزم في كل ما شرعه أن يلائم طاقة الإنسان ، ويناسب قدرته فلا يكلفه شغطا ، ولا يرهقه عسرا ، ولا يطلب منه ما يعرجه أو يشق عليه قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » وقال « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضمينا » .

وننشأ مع واقع الإنسان ، وتقديرا لظروفه ، ومسايرة لطبيعته وخصائصه أهتم الإسلام بشئون دنياه كما أهتم بشئون أخراه ، فلم يفرض عليه أن يصزل الناس ، وينقطع لعبادة الله ويهمل أمر نفسه ، ويففل مطالبه الجسمية ، وغرائزه النفسية . كلا ، فقد سمح له بأن ينال حظه من المعالجة ، ويستجيب لغرائزه ، ويسر له الطريق في غير أفرط ولا تفريط ، وهيا له المسبيل في حدود الاعتدال والكمال .

وفي السنة النبوية إرشاد لنا بأن نتوجه إلى الله بهذا الدعاء « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصية أبي ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخري التي فيها معادى واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر » أخرجه مسلم عن أبي هريرة ٨ - ٨١ .

الوجودية

عن مجلة التربية الإسلامية :

للدكتور محسن عبد الحميد
مدرسي في كلية الآداب - جامعة بغداد

ليست الوجودية نظرية فلسفية واضحة المعالم ، محددة الاتجاه ، شاملة لمسائل الكون والحياة . ولا هي حلول إيجابية - أو حتى سلبية - للمشاكل الكثيرة التي تواجه الإنسان . وإنما هي في واقع الأمر اتجاهات متعددة ، وأفكار متباينة علقه لم نخبر حتى في أذهان فلاسفتها ، والداعين إليها .

والوجودية في الوقت الحاضر مدرستان . أحدها مؤمنة ، والأخرى ملحدة . ومن أبرز رجال الوجودية المؤمنة الفيلسوف الألماني الكاثوليكي المعاصر « كارل ياسبرز » . أما الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » فمن أبرز رجال الوجودية الملحدة . كما يعترف نفسه بذلك في كتابه « الوجودية مذهب إنساني » .

والجدير بالذكر أن الوجودية الملحدة هي التي تتولى القيادة ، وهي المقصودة بفهموم الوجودية الحاضرة القداولة على السنة المراهقين والمراهقات في الغرب وفي الشرق أيضا . ذلك لأن الوجودية المؤمنة تنحصر في دائرة ضيقة ، لم يلف حولها إلا جمع من المفكرين المبعثرين هنا وهناك .

إن الوجوديين يؤمنون إيمانا مطلقا بالوجود الإنساني ، ويتخذونه منطلقا لكل تفكير ، ويعتقدون أن النظريات الفلسفية التي سادت في القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الإنسان ولم تعالج واقعه العلق الكلي المضطرب . وبالتالي فإن الإنسان من حيث هو موجود لم يتسن له أن يعلم حتى بأماله في ظل تلك الفلسفات . وأن قدرته وتفكيره الشخصي ووجوده الحر وغرائزه وعواطفه ، لم تجد المصدر الرهب من المثاليات أو المعالجات التي لا تتصل بأعساق الإنسان النفسي .



الدكتور عبد المعطي بيومي

الكويت : ينتظر أن يعود قريبا حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن موفور الصحة والعافية بعد أن استكمل الفحوصات الطبية في مستشفى البحرية الاميريكية بواشنطن .

● افتتح نائب الأمير المعظم وولى العهد دور الانعقاد الثالث لمجلس الامة .
● استقبل رئيس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الأستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة حيث قدم لسعادته مفتى ج . م . ع . والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بمناسبة زيارتهما للكويت .

● استضافت وزارة الاوقاف لموسمها الثقافي في رمضان الدكتور محمد بيسار الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر وصاحبى الفضيلة مفتى مصر ومفتى سوريا وعددا من القراء من مصر وسوريا ولبنان والعراق .

● اهاب وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجميع الحكومات الاسلامية الاسراع فى انشاء البنك الاسلامى الدولى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعها الرابع لعام ٧٢م برئاسة سعادة وزير الاوقاف . واتخذت اللجنة توصيات بشأن عدد من طلبات المساعدة .

● تعاقدت وزارة الاوقاف مع عدد من علماء الازهر الشريف للعمل بالوزارة .
مصر : قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف صرف مبلغ ٤٠٠٠ جنيهه مصرى لبعض المنشآت الدينية فى الاسكندرية .

● وزعت مصر على أعضاء الامم المتحدة سجلا مدعما بالصور والوثائق عن حوادث الازهاب التى ارتكبتها الاسرائيليون منذ أيام الانتداب البريطانى على فلسطين .

● تواصل السلطات الوزارية فى مصر بحث تيسير الحج هذا العام بعد أن زاد عدد الذين ادوا العمرة فى رمضان بشكل ملحوظ .

السعودية : وافقت اللجنة المالية الدائمة للمؤتمر الاسلامى على مشروع ميزانية الامانة الاسلامية العامة لعام ١٩٧٣ .

● بلغ عدد الدول التى صادقت على ميثاق الامانة الاسلامية العامة ثمانى دول هى السعودية ، الاردن ، الصومال ، اليمن ، البحرين ، موريتانيا ، ماليزيا ، السودان .

● نقلت مجلة « أخبار العالم الإسلامي » السعودية تقريراً عن تآزم الأوضاع في باكستان الشرقية أكثر مما كانت عليه قبل انفصالها عن باكستان .
الأردن : تواصل السلطات الإسرائيلية إجراءاتها لتغيير الوضع السكاني في غزة والضفة الغربية للأردن فتنقل العائلات العربية من بيوتها وتحل الغرف التجارية العربية في خطة تهويد شاملة .

● تقول بعض الأنباء أن الأردن وافق على إنشاء لجنة تتولى ترميم المسجد الأقصى .

ليبيا : قام وفد ليبى بجولة في بعض الدول الإفريقية تستهدف تدعيم الصلات وتنسيق المواقف في القارة الإفريقية .

● استقبلت ليبيا في الشهر الماضي وفداً إسلامياً من أوغندا لإجراء مباحثات تستهدف التعاون بين البلدين خاصة في المجالات الإسلامية في أفريقيا .
تونس : ناشد الرئيس التونسي الدول والحكومات العربية تجاوز خلافاتها والعمل على توحيد الجهود في مواجهة العدوان الإسرائيلي الدائم على العرب .

الجزائر : تبرعت الجزائر بعشرة مستوصفات ومركزين طبيين اجتماعيين لجنوب لبنان الذي تعرض في الشهرين الماضيين لغارات وحشية إسرائيلية .
السودان : سوف تتبرع السودان بمبلغ ٥٠ ألف جنيه سوداني لبناء المركز الإسلامي الذي ترعاه السعودية وليبيا والكويت والسودان بهدف الثقافة الإسلامية في أفريقية .

أوغندا : قرر الرئيس عيدي أمين طرد الآسيويين الذين يحملون جنسيات أفريقية لأنهم يناوون في الاستيلاء على ممتلكات الآسيويين المطرودين حاملي الجنسيات البريطانية .

الهند : سمحت الحكومة الهندية بزيادة عدد الحجاج المسلمين هذا العام حوالي خمسمائة حاج عن العام الماضي وسيوزع هذا العدد على الولايات الهندية حسب سكانها المسلمين .

● صرح الدكتور عبد الجليل غريد رئيس المجلس الإسلامي في الولاية الشمالية أنه سيواصل العمل من أجل معارضة التعديل الذي أجرته الحكومة الهندية على جامعة عليكرة الإسلامية .

● أعلنت وزارة الخارجية الباكستانية أنها لا تمنع في الاجتماع والتباحث مع أي زعيم من زعماء باكستان الشرقية .
ماليزيا : ستقدم ماليزيا قريبا إلى السيد ياسر عرفات مبلغ ١١٧٠٠ جنيه استرليني لمساعدة لشعب فلسطين .

— أخبار متفرقة —

ولاية ميزوري الأمريكية : اتخذ المؤتمر السنوي العاشر لاتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا عدة قرارات وتوصيات بشأن الأقليات الإسلامية في العالم والتنديد بعدوان إسرائيل على الأرض العربية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحامي لدولة الكويت

المواقيت الشرعية بالزمن الفوري						المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						نومبر ١٩٧٢ م		نومال ١٩٧٢ م		الايام الاسبوع
عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س	عشاء	عصر	ظهر	شروق	فجر	س	س	د	د	د	د
٢٠	٣٨٩	٤٣٦	٦١	٣٦١١	س	١٨٦	٥٨٤	٣٦٢	٣١١١	٤٦	٣٤٤	٦	١	الاثنين		
٢٠	٣٨	٣٤	٧	٣٧	س	١٧	٥٧	٣٥	٣١	٤	٣٤	٧	٢	الثلاثاء		
٢٠	٣٨	٣٥	٩	٣٩	س	١٦	٥٦	٣٤	٣١	٥	٣٥	٨	٣	الاربعاء		
٢٠	٣٩	٣٥	١٠	٤٠	س	١٥	٥٥	٣٤	٣١	٥	٣٥	٩	٤	الخميس		
٢٠	٣٩	٣٦	١١	٤١	س	١٥	٥٥	٣٣	٣١	٦	٣٦	١٠	٥	الجمعة		
٢٠	٣٩	٣٧	١٣	٤٣	س	١٤	٥٤	٣٣	٣١	٧	٣٧	١١	٦	السبت		
٢٠	٣٩	٣٨	١٥	٤٤	س	١٤	٥٣	٣٢	٣١	٨	٣٧	١٢	٧	الاحد		
٢١	٣٩	٣٨	١٦	٤٥	س	١٣	٥٣	٣٢	٣١	٩	٣٨	١٣	٨	الاثنين		
٢١	٣٩	٣٩	١٧	٤٦	س	١٣	٥٢	٣٢	٣١	١٠	٣٨	١٤	٩	الثلاثاء		
٢١	٤٠	٣٩	١٨	٤٧	س	١٣	٥٢	٣١	٣١	١٠	٣٩	١٥	١٠	الاربعاء		
٢١	٤٠	٤٠	٢٠	٤٩	س	١٢	٥١	٣١	٣١	١١	٤٠	١٦	١١	الخميس		
٢١	٤٠	٤١	٢١	٥٠	س	١٢	٥١	٣١	٣٢	١٢	٤١	١٧	١٢	الجمعة		
٢١	٤٠	٤١	٢٢	٥١	س	١٢	٥١	٣٠	٣٢	١٣	٤٢	١٨	١٣	السبت		
٢١	٤٠	٤٢	٢٤	٥٣	س	١١	٥٠	٣٠	٣٢	١٤	٤٣	١٩	١٤	الاحد		
٢١	٤٠	٤٣	٢٥	٥٤	س	١١	٥٠	٣٠	٣٣	١٤	٤٤	٢٠	١٥	الاثنين		
٢٢	٤٠	٤٣	٢٦	٥٥	س	١١	٥٠	٣٠	٣٣	١٥	٤٥	٢١	١٦	الثلاثاء		
٢٢	٤٠	٤٤	٢٨	٥٦	س	١١	٤٩	٣٠	٣٣	١٦	٤٥	٢٢	١٧	الاربعاء		
٢٢	٤٠	٤٥	٢٩	٥٧	س	١١	٤٩	٣٠	٣٤	١٧	٤٦	٢٣	١٨	الخميس		
٢٢	٤١	٤٥	٣٠	٥٨	س	١١	٤٩	٣٠	٣٤	١٨	٤٧	٢٤	١٩	الجمعة		
٢٢	٤١	٤٦	٣١	٥٩	س	١١	٤٩	٣٠	٣٤	١٩	٤٨	٢٥	٢٠	السبت		
٢٢	٤١	٤٦	٣٢	٥٠ ١٢	س	١٠	٤٨	٢٩	٣٥	٢٠	٤٨	٢٦	٢١	الاحد		
٢٢	٤١	٤٧	٣٣	١	س	١٠	٤٨	٢٩	٣٥	٢١	٤٩	٢٧	٢٢	الاثنين		
٢٢	٤١	٤٧	٣٤	٢	س	١٠	٤٨	٢٩	٣٥	٢٢	٥٠	٢٨	٢٣	الثلاثاء		
٢٢	٤١	٤٨	٣٥	٣	س	١٠	٤٨	٢٩	٣٦	٢٣	٥١	٢٩	٢٤	الاربعاء		
٢٢	٤١	٤٨	٣٥	٣	س	١٠	٤٨	٢٩	٣٦	٢٣	٥١	٣٠	٢٥	الخميس		
٢٢	٤١	٤٨	٣٦	٤	س	١١	٤٨	٢٩	٣٦	٢٤	٥٢	٣٦	٢٦	الجمعة	ديسمبر	
٢٢	٤١	٤٩	٣٧	٥	س	١١	٤٨	٢٩	٣٧	٢٥	٥٣	٣	٢٧	السبت		
٢٢	٤١	٤٩	٣٨	٥	س	١١	٤٨	٢٩	٣٧	٢٦	٥٣	٣	٢٨	الاحد		
٢٢	٤١	٤٩	٣٨	٦	س	١١	٤٨	٢٩	٣٧	٢٦	٥٤	٤	٢٩	الاثنين		
٢٢	٤١	٥٠	٣٩	٦	س	١١	٤٨	٢٩	٣٨	٢٧	٥٤	٥	٣٠	الثلاثاء		

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتغاديا لبيع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متمدن التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢٠ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

الكلاب : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الابيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الاردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرغانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

الدوحة : سالم الانصارى — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الدعوة الى العمل القيادي العربي

المخلص	لسمو نائب الامير المعظم	٤
الخطاب الاميري	لسمو الشيخ سعد المبد الله الصباح	٦
المسلمون في العالم	لعالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية	٨
من هدى السنة	للككتور على عبد التعم	١٢
اعجاز القرآن	للككتور محمد حسين الذهبي	١٦
الكاتبون في الدين	للواء محمود شيت خطاب	٢٢
شركات التأمين	للككتور عبد الرحمن تاج	٢٦
اهداف مجتمع الاسلام	للككتور مصطفى عبد الواحد	٣٥
الفتوح الاسلامية	للككتور احمد ابراهيم الشريف	٤٤
اللغة العربية والدين الاسلامي	للاستاذ لطفى ملحق	٥٢
معاملة المسجونين في الاسلام	للاستاذ ابراهيم محمد القحام	٥٦
التوريق	للاستاذ عبد المجيد وافي	٦٠
والموعد الله (كتاب الشهر)	تقديم الاستاذ محمد عبد الله السمان	٧١
نصيحة ذهبية	للاستاذ محمود مهدي استانبولي	٧٦
اصول منهج الفكر الاسلامي	للككتور محمد عبد المستار نصار	٨٢
مؤتمر علماء المسلمين السابع	للاستاذ صلاح عزام	٩١
مكتبة المجلة	اعداد الاستاذ عبد المستار فيض	٩٨
المائدة	١٠٠
الفتاوى	١٠٢
بريد الوعى	اعداد عبد الحميد رياض	١٠٥
باقلام القراء	اعداد فهمي الامام	١٠٧
قالت الصحف	١١٠
الاخبار	اعداد الدكتور عبد المعطى بيومى	١١٢
مواقيت الصلاة	١١٤